الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة باتنة –1–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ والآثار

مطبوعة بيداغوجية بعنوان

المغرب الحديث ق16- ق19م

طلبة السنة الثانية ليسانس

التخصص: تاريخ عام

إعداد الدكتور: بلعربي عمر

الرتبة: أستاذ محاضر أ

السنة الجامعية: 2022/ 2023

بسم الله الرحمن الرحيم

قائمة المختصرات باللغة العربية:

ج	الجزء
ط	الطبعة
ع	العدد
ص	الصفحة
ص ص	من الصفحة إلى الصفحة
تر	ترجمة
تح	تحقيق
د.م.ج	ديوان المطبوعات الجامعية
م.و.ك	المؤسسة الوطنية للكتاب
د.غ.إ	دار الغرب الإسلامي
ش.و.ن.ت	الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
د.هـ.ن.ت	دار هومة للنشر والتوزيع

قائمة المختصرات باللغة الفرنسية:

ED	Edition
PP	De la page à la page
S.D	Sans Date
T	Tom
VOL	Vol

السداسي الثالث:

عنوان الوحدة: التعليم الأساسية 2

المادة: المغرب العربي الحديث ق 16- ق19

البرنامج:

1-سقوط غرناطة وانعكاساته على الدول المغاربية.

2-أوضاع الدول المغاربية في أواخر القرن 15م ومطلع القرن 16.

3-المد العثماني إلى الحوض الغربي للمتوسط.

4-ظروف الحاق الدول المغاربية " الجزائر، طرابلس، تونس" بالدولة العثمانية.

5-تطور نظام الحكم في الجزائر خلال الفترة العثمانية.

6- تطور نظام الحكم في المغرب الأقصى في فترة السعديين والعلويين.

7- تطور نظام الحكم في تونس.

8- تطور نظام الحكم في طرابلس الغرب " ليبيا".

9- علاقات الأقطار المغاربية الخارجية " المشرق العربي، افريقيا، أوربا".

10-الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بلدان المغرب العربي الحديث.

11- العلاقات المغاربية الثقافية.

طريقة التقييم:

علامة الأعمال الموجهة 50 % + الامتحان 50 %

المراجع: (كتب ومطبوعات، مواقع انترنت، إلخ)

1-ابن عسكر، أبو عبد الله، دوحة الناشر، تحقيق محمد صبحي، الرباط، 1977.

2-ابن القاضي، المنتقي المنصور على مآثر الخليفة المنصور، القاهرة، 1970.

3-الإفراني، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تحقيق هوداس، مطبعة بردين، باريس، 1688.

4-التمقروتي، علي بن محمد، النفحة المسكية في السفارة التركية، تقديم وتحقيق محمد الصالحي، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، 2007.

5-الزياني، أبو القاسم، الترجمانة الكبرى، تحقيق عبد الكريم الفيلالي، الرباط، 1991.

6-الزياني، أبو القاسم، تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب، تقديم وتحقيق رشيد الزاوية، منشورات وزارة الأوقاف، المغرب، 2008.

7-الفشتالي عبد العزيز، مناهل الصفا في مآثر موالنا الشرفا، تحقيق عبد الكريم كريم، الرباط، 1972.

8- الناصري احمد بن خالد السلاوي: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق ولدي المؤلف محمد وجعفر، دار الكتاب، دار البيضاء، 1955.

9-ابن خروف عمار: العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن 16م، دار الأمل، تيزي وزو، 2006.

10-التازي عبد الهادي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب، 1988.

11- حجي محمد: الزاوية الدلائية، دورها الديني والاجتماعي والسياسي، المطبعة الوطنية، الرباط، 1972.

12-ابن ابي ضياف أحمد: إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس في عهد الأمان، الدار التونسية للنشر، د.م.ج، الجزائر، 1977.

13-حركات إبراهيم: التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية، دار البيضاء، 1985.

14-روجرز، ب.ج، تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية حتى عام 1900، دار البيضاء، 1981.

15-شحاتة حسن إبراهيم: واقعة وادي المخازن في تاريخ المغرب 1578، دار الثقافة، دار البيضاء، 1979.

16- الشريف محمد الهادي، تاريخ تونس، سراس للنشر، تونس، 1980.

17-BRAUDEL ,F,la Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de philippe ll,paris,1966.

18-TERRASSE,H,Histoire du Maroc, éd.Atlamtiele,Casablanca 1947

19-, pouvoir et société dans la tunisie de Husayn bin Ali (1705-1740), Tunis,P.U.T,2vol, 1984-1986. CHERIF (M.H)

20-RAYMOND, A, Grandes Villes Arabes à l'époque ottomane, éd, Sindbad, paris, 1985.

21 -VALENSI, le Maghreb avant la prise d'Alger 1970-1830, Flammarion, paris, 1969, 21.

الـــمـــقـــدمـــة

للجزائر تاريخ عريق ومجيد يمتد من ما قبل التاريخ إلى الفترة المعاصرة وكله غني ووفير بالأحداث الكثيرة والمواقف المتعددة والتطورات المختلفة في شتى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وفي هذا السياق جاءت دراستنا المتواضعة لمقياس وموضوع " المغرب العربي الحديث ق16-ق19" وهذا لإبراز جوانب مهمة من تاريخ منطقتنا المغاربية من الناحية السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية التي عرفتها منذ ظهورها وبروزها على الساحة الدولية خصوصا خلال الفترة الحديثة.

وتكمن أهمية الموضوع في تسليط الضوء والاهتمام بتاريخنا المجيد وتلقينه للأجيال بغية ترسيخه في ذاكرتهم وتشبتهم به والحفاظ عليه من الاندثار والزوال.

أسباب اختيار الموضوع:

أ-أسباب ذاتية:

إن من أبرز الأسباب التي أدت إلى اختيار هذا المقياس هو الرغبة والميل إلى البحث حول الدور الذي قامت به المنطقة المغاربية كقوة فاعلة في الجهة الغربية للمتوسط خاصة في مواجهتها للاستعمار الاسباني الذي أراد تنصير المنطقة والاستحواذ عليها.

-محاولة الوصول بالباحث إلى معرفة كل ما يحيط ويخص تاريخ المنطقة المغاربية من أحداث ووقائع تاريخية خصوصا خلال الفترة الحديثة.

ب-أسباب موضوعية:

-إظهار وإبراز رموز المنطقة المغاربية والافتخار بهم على مر العصور والدفاع عنهم والرفع من شأنهم خصوصا الذين شوّهوا من قبل المدرسة الفرنسية.

-إضافة عمل أكاديمي للمكتبة التاريخية الوطنية وذلك بالمساهمة في دراسة مستفيضة لهذا التاريخ المجيد لمنطقتنا المغاربية وحمايته من أي تشويه أو تزوير.

ومن هنا فإن الإشكالية المطروحة في هذا البحث، كيف كان الحاق دول المغرب العربي بالدولة العثمانية وللإجابة على ذلك طرحنا مجموعة من التساؤلات والتي تتمثل في:

- ما الغاية من تدريس هذا المقياس للطلبة؟.

- هل سيلقى هذا المقياس اهتماما من قبل الطلبة؟.

- هل سيستفيد الطلبة من هذ المقياس؟ .

وللإجابة على ذلك اتبعت من خلال بحثي هذا خطة مكونة من مقدمة ومحاور وخاتمة ودعمت بحثي بمجموعة من الملاحق.

أما المناهج التي اعتمدت عليها في دراسة وإعداد هذا البحث فهي ثلاث مناهج علمية معروفة:

أولا: المنهج التاريخي الوصفي: وسأعتمده في وصف واستعراض الأحداث والوقائع التاريخية، وذلك حسب التسلسل الزمني.

ثانيا: المنهج التحليلي: وهذا المنهج يخصص في دراسة الوقائع ومناقشتها وربطها ببعضها البعض واستنتاج الأحكام.

ثالثا: المنهج الإحصائي: حيث قدمت بعض الإحصائيات التي تخص أرقام واحصائيات حول عدد البايات والدايات الذين حكموا المنطقة المغاربية خلال إلحاقها بالدولة العثمانية

دراسة المصادر والمراجع:

اعتمدت في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع المتنوعة باللغتين العربية والفرنسية:

المصادر:

01-ابن غلبون أبو عبد الله محمد بن خليل غلبون الطرابلسي: التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من اخبار، تح: أيمن البحيري، بيروت، 1998

02-ابن زاكور الفاسي: رحلة ابن زاكور الفاسي نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء واكابر الأعيان الجزائر، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، 2011

03- ابن السراج الأندلسي محمد بن محمد: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تح: محمد الحبيب الهيلة، ج1، بيروت، 1984

04- ابن أبي ضياف أحمد: اتحاف الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان،ج2، تونس، 1999

05- خوجة بن عثمان حمدان: المرآة، ترجمة محمد بن عبد الكريم، بيروت، 1972

06- مؤلف مجهول: غزوات عروج وخير الدين، تحقيق نور الدين عبد القادر، الجزائر، 1934.

07-المقري أحمد: نفح الطيب ن غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ج5، تح: محمد البقاعي، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1998

المراجع:

01-بلاح بشير: تاريخ الجزائر المعاصر من " 1830-1989" ج1، دار المعرفة، 2006

02-بلقاسم نايت بلقاسم: شخصية الجزائر وهيبتها العالمية قبل 1830، الجزائر، 1985،

03- بن الخوجة محمد: صفحات من تاريخ تونس: تح: حمادي الساحلي، الجيلاني بن الحاج يحي، ط1، دار الغرب الاسلامي.

04- بن إسماعيل عمر علي: انهيار الأسرة القرمانلية في ليبيا 1795- 1830، دت.

05- بن عاشور الفاضل: الحركة الفكرية والأدبية في تونس، القاهرة، 1956م

06- بوعزيز يحي: الموجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسيطة،ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992

07-بوعزيز يحي: علاقات الجزائر الخارجية مع دول ومماليك أوربا " 1500-1830"، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009.

08- التازي عبد الهادي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم " عهد بني مرين والوطاسيين"، م7، 1988.

09-الجمل شوقي: تاريخ كشف افريقيا واستعمارها، القاهرة، 1980.

10- الجيلالي عبد الرحمن: تاريخ الجزائر العام، ج4، بيروت، 1984.

11-جوليان شارل اندري: تاريخ افريقيا الشمالية" تونس، الجزائر، المغرب"، من الفتح الاسلامي إلى 1830، تر: محمد مزالي والبشير سلامة، تونس، 1985.

12- حركات إبراهيم: المغرب عبر التاريخ " من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين"، ج2، نشر وتوزيع دار الرشاد الحديثة، 2000.

بالفرنسية:

1-pari reis : kitabi-bahriyye, istanbul,s

2-Fey, (Henri léon) , Histoire D'Oran avant , pendant et après la domination Espagnole, Adolphe premier editeur , Oran ,1858.

3- Mahmut Amer : Trablusgrap Osmanli Faliyati

4- Sertoglu,Resmli Osmanli Tarihi,Istanbul, 1958. Midhat

5- smail Hakki Uzun : çarsili Osmanli Tarihi, Ankara 1975.

6- Oztuna, Barbaros haralan,Istanbul, 1989.

الصعوبات:

لا شك أن انجاز أي بحث تكون مادته متناثرة هنا وهناك وفي دور الأرشيف والمكتبات العامة والخاصة، لأن انجاز البحوث الأكاديمية ليس بالأمر السهل كما يظنه البعض من الذين لم يلجوا هذا الميدان، وما على الباحث إلا أن يسخر كافة امكاناته المادية والفكرية من أجل جمع المعلومة من مختلف المصادر والمراجع.

وفي الأخير أرجو أني قد وفقت في انجاز هذا البحث وذلك من خلال تقديم إضافة علمية وموضوعية نستفيد منها كباحثين وطلبة.

المحاضرات

المحاضرة الأولى: سقوط غرناطة وانعكاساته على الدول المغاربية:

1-سقوط غرناطة:

إن بداية انحصار رقعة الدولة الإسلامية بالأندلس لا تعود إلى بداية القرن السابع الهجري، وانما كان ذلك سابقا له، وبالتحديد بعد انتهاء عهد الدولة الأموية بها سنة 407هـ/ 1018م، وانقسام المسلمين إلى دويلات وامارات عديدة.[1]

وعلى غرار ما يحدث تقريبا لجميع الامارات المتجاورة فقد حدث نزاع وشقاق بين هذه الامارات الإسلامية إذ وقعت بينها حروب عديدة أفضت نتائجها إلى انحصار رقعة الدولة الإسلامية انحصارا رهيبا، وما يحز في نفوس المسلمين أن حيزا كبيرا من تلك الأراضي فقدها المسلمون لصالح الممالك النصرانية بإرادتهم ودون أي حرب ضدهم، بعدما تنازل عنها حكامها المسلمين ثمنا لعون كاذب ضد إخوانهم المسلمين.[2]

وهذه الوضعية التي آل ايها المسلمون شجعت كثيرا الممالك النصرانية وأكثر من أي وقت مضى لانتزاع أجزاء أكبر من الأراضي التابعة للمسلمين، [3]ومع بداية القرن السابع الهجري كان سلطان المسلمين بالأندلس قدر تراجع تراجعا كبيرا لا سيما بعد الضعف الذي أصاب دولة الموحدين والانهزام في معركة حصن العقاب " 1212م" والتي كانت بمثابة بداية النهاية للوجود الاسلامي بالأندلس. [4]

عرفت هذه الفترة الحساسة والخطيرة من تاريخ المسلمين بالأندلس أحداثا أخرى ساهمت بشكل أو آخر في ضعف المسلمين وانحصار رقعة دولتهم كالثورات المختلفة التي قامت بين المسلمين أنفسهم أو بينهم وبين النصارى الذين استغلوا تلك الظروف أحسن استغلال، فراحوا يصعدون من

---

[1]- عبد الرحمن ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ص ص 186-195.

[2]- أسعد حومد: محنة العرب في الأندلس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1988، ص 98.

[3]- عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، نشر لجنة إحياء التراث العربي، الجمهورية العربية المتحدة، ص 417.

[4] - أحمد المقري: نفح الطيب ن غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ج5، تح: محمد البقاعي، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1998، ص 285. - ينظر أيضا: عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ص 235- 236.

حدة هجماتهم ويكتفون من ضرباتهم على المدن الاسلامية التي أخذت تتهاوى الواحدة تلو الأخرى مثل ماردة التي سقطت سنة 627هـ/ 1228م، قرطبة 633هـ/ 1236م، بلنسية 636هـ/ 1238م، اشبيلية 646هـ / 1248م، ومدن أخرى عديدة.[1]

لم يبق للمسلمين بالأندلس إلا مملكة غرناطة في الجنوب، والتي استطاعت أن تقاوم ضربات النصارى لفترة من الزمن، وأصبحت بذلك المعقل الوحيد للمسلمين بالأندلس، بعدما ترك أغلبهم مدنهم وانحازوا إليها هروبا من ضربات جيوش الممالك النصرانية، وهذا الواقع الجديد شجع الإسبان أكثر من أي وقت مضى على ملاحقتهم وتتبعهم إلى هذه المدينة أملا في الاستحواذ عليها أيضا، ولذلك لم يكتفوا بطردهم من تلك المدن و إنما واصلوا تتبعهم إلى مملكة غرناطة آملين بطردهم نهائيا من شبه الجزيرة الأيبيرية والقضاء على هذه المملكة الناشئة قبل أن تشتد قوتها والفرصة كانت سانحة لذلك فسارعوا للتضييق عليها بمحاصرتها.[2]

لقد كان للممالك النصرانية أوفر حظا وأكثر قوة وذلك باتحاد مملكتي قشتالة وأراغون عام 1479م بعد أن تم الزواج بين ايزابيلا ملكة قشتالة مع فرناندو " فرديناند" الخامس ملك أراغون بحوالي 10 سنين فكان من بين ما تعاهد عليه الملكان الكاثوليكيان هو الحرب على غرناطة خاصة من طرف ايزابيلا التي وقعت تحت تأثير الأحبار المتعصبين نظرا لحميتها الدينية.[3]

لقد أدرك الإسبان بعد احتلالهم لمعظم المدن الأندلسية الأخرى أن مسألة احتلال عاصمة بني الأحمر غرناطة هي مسألة وقت إلا، فبدؤوا يتحينون الفرص لذلك، وأرسلوا بطلب لحاكمها أبي عبد الله محمد الصغير بتسليمها لهم صلحا، فرفض ذلك وقرّر القتال ،[4] إذ عقد اجتماعا مع كبار رجال الدولة، وأقر الدفاع عن المدينة حتى الموت، وكانت الحرب سجالا بين الطرفين .[5]

---

[1]- عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص ص 204-205، بد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ص 452-453.

[2]- أحمد المقري: المصدر السابق، ج5، ص 263.

[3]- جمال يحياوي: سقوط غرناطة ومأساة الموريسكيين " 1492- 1610"، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص ص 33- 34.

[4]- عبد الحكيم ذنون: آفاق غرناطة، ط1، دار المعرفة، دمشق، 1988، ص 50.

[5]- محمود السيد: تاريخ العرب في بلاد الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2000، ص ص 107-110.

وبعد أن أدرك الملكين الإسبانيين فرديناند وايزبيلا بصعوبة الاستيلاء على المدينة بالقوة، وذلك لحصانتها وتواجد معظم الجيش الإسلامي بداخلها، قررا في سنة 896هـ/1491م حصارها وقطع جميع الإمدادات مهما كان نوعها عنها.[1]

كانت سبعة أشهر متتالية من الحصار المتواصل كافية لدفع أهل غرناطة وأعيانها إلى الرضوخ للمفاوضات مع الإسبان،[2] وقد عبر أعيان غرناطة عن قبولهم للمفاوضات، وبناء على ذلك تم الاتفاق على إعلان وقف القتال بين الطرفين ابتداء من 05 أكتوبر 1491 م لمدة سبعين يوما، وذلك من أجل التفاوض،[3] وفي 25 من شهر نوفمبر لسنة محرم 467 هـ/ 1491 م، ، وبعد مفاوضات عسيرة وشاقة خ لُص الطرفان في النهاية إلى عقد معاهدة تحدد الشروط النهائية للاستسلام، وبالتالي صياغة معاهدة تسليم غرناطة للاسبان.[4]

وفي الثاني من شهر جانفي 1492 م خرج أبو عبد الله مع عدد من أتباعه خارج المدينة على جسر نهر شنيل، أين التقى بالملكين الإسبانيين وسلمهما مفاتيح المدينة في مشهد حزين، ومخاطبا الملك فرديناند قائلا ":إنهما مفتاحي هذه الجنة، وهما الأثر الأخير لدولة المسلمين في اسبانيا، وقد أصبحت أيها الملك سيد تراثنا وديارنا وأشخاصنا، وهكذا قضى الله، فكن في ظفرك رحيما وعادلا".[5]

وبعد تسليم مفاتيح المدينة للإسبان خرج من مدينته، وتوقف عند جبل يدعى الريحان لإلقاء النظرة الأخيرة على مدينة غرناطة ، وقيل أن أمه عائشة الحرة سبقته، ولما سألت عليه قيل لها :أنه يبكي، فقالت قولتها الخالدة:

ابك مثل النِّساء ملكًا مضاعًا لم تحافظ عليه مثل الرجال [6]

---

[1]- واشنطن ايرقينغ: أخبار سقوط غرناطة، تر: يحي نصري، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2000، ص 381.

[2]- مؤلف مجهول: نبذة العصر في اخبار بني نصر، تعليق: ألفريد البستاني، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص 40.

[3]- جمال يحياوي: المرجع السابق، ص 146- أسعد حومد: محنة العرب في الأندلس، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1988، ص 146.

[4]- أسعد حومد: المرجع السابق، ص 38.

[5]- جمال يحياوي: المرجع السابق، ص 38.

[6]- أسعد حومد: المرجع السابق، ص 146.

2- نتائج سقوط غرناطة على الدول المغاربية:

بعد أن أبعد الملك فيليب الثالث الموريسكيين كليا من اسبانيا تم اخلاء البلد من السكان فقد هاجر أكثر من 150 ألف شخص من السلالة المضطهدة إلى مختلف بقاع العالم لكن الجزء الأكبر قصد الدويلات العربية الإسلامية في شمال افريقيا ومنها على سبيل المثال " الجزائر " وغيرها ويقال أنه خرج أكثر من 12 إلى 400 ألف من أولئك التعساء.[1]

عرفت مدينة الجزائر هجرة الأندلسيين إليها وذلك بعد سقوط الأندلس وقد توجه أولئك المهاجرون إلى الكثير من المدن الجزائرية منها " عنابة، بجاية، دلس، شرشال، مستغانم، وهران، تلمسان..." حيث أصبحت كل من مدينة بجاية وتلمسان منارتين للاشعاع العلمي والنشاط الاقتصادي حيث كان أغلب الوافدين من العلماء وأصحاب الجاه، فلم تنافسهما في ذلك سوى تونس عاصمة الحفصيين وفاس عاصمة المرينيين[2].

حمل المهاجرون الاندلسيون معهم الثروة والمعارف الصناعية والخبرة كم حملوا معهم أيضا رعب الاسم المسيحي وهلعه النصراني الذي كان يعني لهم الجور والغدر والخيانة، النهب وانتهاك الحرمات والمساجد وغيرها، وقد قال المقري:" ...إلى أن كان إخراج النصارى إياهم بهذا العصر القريب أعوام تسعة عشر وألف فخرجت ألوف إلى فاس وألوف أخرى بتلمسان ووهران ...".[3]

هناك العديد من للأسباب التي أدت إلى هجرة الأندلسيين والأماكن التي قصدوها إلا أننا لا نعلم ولا نستطيع تحديد عددهم لأن هجراتهم لم تكن دفعة واحدة فاختلفت المصادر التاريخية حول إحصاء عدد المهاجرين حيث يذكر البعض منها أن عددهم بلغ 12 إلى 16 ألف والأخرى خاصة العربية منها فقد ذكرت أن هناك 6000 مهاجر فلا يمكننا الاجماع على عدد المهاجرين إلى مدينة الجزائر خلال القرن 16م، حيث شهدت الجزائر موجات هائلة من الأندلسيين وقد استطاعت أن تغطي الانخفاض الكبير في عدد السكان.[4]

---

[1] -- Fey, (Henri léon) , Histoire D'Oran avant , pendant et après la domination Espagnole, Adolphe premier editeur , Oran ,1858, p 56.

[2]- مفيدة بن يوسف، الجالية الأندلسية بالجزائر وتأثيراتها الحضارية على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني القرنين " 16-17م"، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2010- 2011، ص 60.

[3]- أحمد المقري: نفح الطيب من غصن الرقيب، تح، إحسان عباس، مج 4، دار صادر، 1988، ص 528

[4]- مفيدة بن يوسف: المرجع السابق، ص 66.

وفي بدايات العهد العثماني بالجزائر فقد عرفت مدينة الجزائر نموا ديموغرافيا بسبب توافد الأندلسيين واليهود واستقرار مجموعات من الأتراك والأعلاج لممارسة الجهاد البحري، وجلب أعداد كبيرة من الأسرى وهذا ما جعل عدد سكانها يقدرون ب120 ألف نسمة ما بين " 1450م – 1518م " ووصلوا إلى 30 ألف عام 1533م، وما بين 76 ألف عام 1580م منهم 29 ألف من الأسرى المسيحيين ويبقى هذا النمو السكاني متواصلا طيلة القرن 16م حتى منتصف القرن 17م، أين بلغت الجزائر أوج مراحل النمو السكاني فيها.[1]

بدأت الهجرات الأندلسية إلى مدن بجاية وتلمسان ووهران بعد سقوط مدينة اشبيلية في القرن 8هـ / 14م حيث تذكر المصادر أن مراكب خير الدين نقلت في ليلة واحدة عام 1529م أزيد من 200 أندلسي من المقيمين في بلنسية.

وبالنسبة لأهم مراكز استقرار الأندلسيين في الجزائر فقد تواجد هؤلاء في كل من مدن:

وهران: التي استقر فيها المهاجرون الأندلسيون حيث بلغت أول دفعة من المهاجرين 28 ألف قاصدين وهران فعبر الموريسكيون البحر المتوسط واستقروا بها كقراصنة واستولوا على كافة الأجزاء الغربية منها وبشكل خاص مدخل جبل طارق فنافسوا اسبانيا على نزولهم الملح فيها، وقد استغل الاسبان فرصة احتلالها عام 1509م والمرسى الكبير عام 1510م لنقل المهاجرين الموريسكيين لها، واستقر هؤلاء في المناطق المجاورة لوهران، مستغانم، معسكر، مازونة، فتجمعوا في أحياء خاصة بهم رغم حصار مدينة وهران من قبل الاسبان إلا أنها احتضنت جموعا من المهاجرين الأندلسيين.[2]

تلمسان: قصدها المهاجرون بعد سقوط دولة الموحدين وزوال نجم بنو الأحمر بغرناطة فقد توافد إليها الموريسكيون بسبب سياسة اللين واللطف وحن الجوار التي كانت بين الملوك الزيانيين وأهل الأندلس بهدف التصدي للغارات المرينية، والأطماع الحفصية خاصة بعد أن أخذت الامارة الزيانية على عاتقها مسؤولية الدفاع عن المغلوبين وحمايتهم عند تراجع قوة المرينيين في المغرب الأقصى، ومنذ القرن 14م هاجر إلى تلمسان

[1]– ناصر الدين سعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، الفترة الحديثة والمعاصرة، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص ص 132-133- ينظر أيضا: أرزقي شويتام: المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني " 1519- 1830م"، ط1، دار الكتاب العربي، 2009، ص 144.

[2] – Fey, op.cit., p.56.

بعض العلماء وهي في أوج حالاتها الثقافية[1] ولما ضيق الاسبان الخناق على غرناطة خرج إليها علماء الأندلس أمثال عبد الله بن الأزرق، أبو عبد الله بن سعد المعروف بالزغل وحاشيته فتواصلت الهجرة إلى أيام والطرد الأكبر كان عام 1609م، وقد ذكر المقري أن الهجرة الأخيرة إلى تلمسان مرت بحوادث مؤسفة بقوله:" فخرجت ألوف بفاس وألوف أخرى بتلمسان... فسل لهم الأعراب ومن لا يخشى الله تعالى في الطرقات ونهبوا أموالهم وهذا ببلاد تلمسان وفاس".[2]

مستغانم: وصفها الحسن الوزان بأن لها حضارة في القديم وسكان كثيرون لكن الأعراب يكثرون من مضايقتها منذ أن بدأت سلطة ملوك تلمسان تضعف حتى أنها فقد ثلثي أهلها في وقتنا الحاضر، وهذا يعني أننا لا نملك معلومات محددة حول الفترة التي هاجر فيها الأندلسيون إليها، لكنهم عمروها وحولوا ميناءها إلى ميناء حربي بعدما كان يستقبل السفن التجارية الإيطالية.

وقد جاء في كتاب غزوات عروج عن تجويز المهاجرين الأندلسيين:" فكانت الأجفان التي وجهها خير الدين إلى مستغانم كما حصل لهم الغرض من فتحها ذهبوا إلى بلاد الأندلس برسم تجويزهم إلى بلاد المسلمين من أرض العدو، فحملوا منهم خلقا كثيرا ورجعوا بهم إلى الجزائر".

شرشال: قال عنها الوزان:" ...ثم هجرت أثناء الحروب القائمة بين ملوك تلمسان وملوك تونس وبقيت خالية من السكان زهاء 300 سنة حتى سقوط غرناطة في أيدي المسيحيين، فقصدها الغرناطيون إذ أعادوا بناء عدد من دورها، وجددوا القلعة وزرعوا الأراضي ثم صنعوا كثيرا من السفن للملاحة واشتغلوا بصناعة الحرير... فعاشوا في رخاء دائم حتى أصبحوا يسكنون في 200 ألف بيت ولم يستمعوا إلا لبرباروس".[3]

كما أشار مارمول إلى استقرار الأندلسيين بشرشال وقيامهم بإحيائها وإعمارها بقوله: " ظلت على تلك الحال مدة 3 قرون إلى أن جاء عدد من الأندلسيين إلى افريقيا بعد أن استعادها فرديناد فقام بعضهم يعيد

[1]– مفيدة بن يوسف: المرجع السابق، ص 101.

[2] - أحمد المقري: المصدر السابق، ص 528

[3]- حسن الوزان: وصف افريقيا، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1983، ص 32.

بناء القلعة والدور التي رأوا فائدة إصلاحها وشيئا فشيئا قام العمران بهذا السهل على أيدي المدجنين ومسلمي الأندلس.[1]

تنس: تعد من أبرز المراكز التي لجأ اليها الاندلسيون منذ القرن 9هـ وبذلك ارتفع عدد سكانها حيث قال المقري:" ثم أن الباقون في تنس لم يزالوا في تزايد ثروة وعددا" وقد استعان بهم عروج عام 1517م حيث كان يرافقه حوالي 500 جندي من أهل غرناطة، بلنسية وأراغون

البليدة: قيل أنها ظهرت وأنشأت على يد النازحين الأندلسيين الذين عمروا سهول متيجة وأقاموا عددا من القرى فيها.[2]

وقد ارتبطت نشأة البليدة باستقرار الحكم العثماني بالجزائر وظروف الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط خلال القرن 16م.[3]

القليعة: كذلك قيل بأن سبب ظهورها يعود إلى الأندلسيين زمن حكم حسن باشا ابن خير الدين الذي ساعدهم على بنائها عام 1550م غرب مدينة الجزائر . [4]

دلس: بالرغم من ذكر الحسن الوزان لها أثناء رحلته إليها إلا أنه لم يشر إلى وجود الجالية الأندلسية بها وقد وصفها بقوله:" تدلس دلس مدينة بناها الأفارقة جل سكانها صباغون لوجود عدد من العيون والجداول بها ...يحسنون كلهم العزف على العود والقيتار يملكون أراضي زراعية كثيرة"،[i] وقال مارمول عن سكانها نفس الشيء:" سكانها من بين صباغ ولكثير منهم ولع بالعزف على العود أو القيتارة".[5]

بجاية: كانت من بين المدن أكثر استقطابا للموريسكيين بسبب علاقتهم إلى ما قبل الحفصيين وكان أبي زكرياء بن عبد الواحد بن أبي حفص مؤسس الدولة الحفصية صلة رثيقة بالأندلسيين منذ أن كان حاكما على

---

[1]- مارمول كاربخال: افريقيا، تر: محمد حجي، محمد زوبير، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، أحمد بنجلون، ج1، مكتب المعارف والنشر والتوزيع، المغرب، 1984، ص 356.

[2]- أحمد المقري: المصدر السابق، ص 528.

[3]- نورالدين عبد القادر: صفحات من تاريخ الجزائر، ص 60.

[4]- مفيدة بن يوسف: المرجع السابق، ص 111.

[5]- نورالدين عبد القادر: المرجع السابق، ص 95.

اشبيليا ومستوليا على غرب الأندلس وقد استقر ببجاية كثير من العلماء الأندلسيين الذي قدموا أدوارا فعالة في الحياة الثقافية.[1]

وقد ذكر الغبريني هؤلاء العلماء بقوله: " أن أبا محمد عبد الحق الاشبيلي وأبا عبد الله محمد بن عمر القرشي وأبا علي المسيلي الأندلسي، كانوا يتناظرون في مباحث العلم والفقه بإحدى الجوانب بطرق حومة المقدسي ببجاية ويواظبون على ذلك حتى عرف ذلك الحانوت بمدينة العلم"،[2] فساهم هؤلاء في رد الخطر الاسباني الذي هدد الوجود الإسلامي بالمغرب الإسلامي، فكانت بجاية أفضل المراكز والقواعد التي رسى عليها الأندلسيون مما أدى إلى احتلالها من قبل الاسبان.

جيجل والقل: تواجد بهما كذلك الاندلسيون وقد ساهموا في تعميرها وذكر مارمول أن الحياة الاقتصادية تطورت بمجيئ هؤلاء قائلا:" القل مدينة المهاجرين الأندلسيين وفيها أكثر من 300 من سكانها من المسلمين الذين هاجروا من قشتالة ومن بلنسية وتزداد هذه المستوطنة يوما بعد لأن البلد خصب كثير القمح والماشية".[3]

عنابة: تعتبر من بين المدن الرئيسية التي تأثرت بها خلال الهجرة الأندلسية وقد استقبلت هذه المدينة أولئك المهاجرين بعد ان تم طردهم ونفيهم.[4]

لقد حافظت تلك الجالية الاندلسية ولفترة طويلة على أصولها وكيانها وفئاتها أينما حلت واستقرت ومن بينها وجود أسماء تنسب إما للمدن او الأماكن الأندلسية المشهورة كالغرناطي والقرطبي والاشبيلي، إضافة إلى العائلات القادمة إلى الجزائر ألقابها عربية وأخرى محلية كما احتفظت بعض العائلات بألقابها الاسبانية وهذا بعد استقرارها بالأراضي الجزائرية من بينها البيلو والنيقرو...

ومن بين العائلات التي استقرت بمدينة الجزائر والتي حملت ألقابا اسبانية مثل عائلة كارطة أو فارطة وقد تنوع استقرار تلك الجاليات في الجزائر تنوعا كبيرا شمل عدة مناطق مثل تلمسان، وهران، مستغانم، بجاية،

---

[1]- حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 42.

[2]- أبوالعباس الغبريني: عنوان الدراية في من عرف بين العلماء في المئة السابعة ببجاية، ط1، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص ص 16- 17.

[3]- مارمول كاربخال: المصدر السابق، ج2، ص 362.

[4]- مفيدة بن يوسف: المرجع السابق، ص 121.

عنابة، بجاية، القليعة، شرشال، البليدة، الجزائر، وقد ساهم الوجود الأندلسي بتعويض النقص السكاني خلال فترة انتشار الأمراض المعدية التي أنهكت البلاد والعباد.

لقد تضاعف عدد المهاجرين الأندلسيين خاصة خلال عام 1609 مما ساعد العثمانيون على الاستفادة منهم إلى جانب الحركات الدينية والتي تمثل دورهم في الجهاد ضد العدو الاسباني الزاحف على شمال افريقيا، وقد عرفت التركيبة السكانية لمدينة الجزائر تغيرا ملحوظا ترتب عن التحولات العميقة التي شهدتها المدينة بداية العصور الحديثة وذلك بعد سقوط غرناطة عام 1492م وبداية الطرد والنفي للأندلسيين تزامنا مع الحاق الجزائر بالدولة العثمانية عام 1518م كل هذا ساعد على تدفق الآلاف من الموريسكيين الذين استقروا على السواحل الجزائرية.[1]

المحاضرة الثانية: أوضاع الدول المغاربية في أواخر القرن 15 ومطلع القرن16

قامت اسبانيا بتحطيم آخر ممالك المسلمين ببلاد الأندلس وبينما برزت الدولة العثمانية الذي علا ونما شانها في القارات الثلاث سواء في أوربا وآسيا وإفريقيا، كان المغرب العربي مقسما نظريا إلى ثلاث دول قامت على أنقاض دولة الموحدين:

1-دولة بني حفص بتونس " وطرابلس والشرق الجزائري"

2-دولة بني زيان " بالوسط والغرب من أرض الجزائر".

3- دولة بني مرين " بالمغرب الأقصى".[2]

عرفت هذه الدول الانقسامات والحروب الداخلية الهوجاء بسبب طمعها في العرش فالحفصيين يحاولون الاستيلاء على فاس من جهة والمرينيين يحاولون الدخول إلى تونس من جهة أخرى اما الزيانيين فكانوا بين الطرفين واستمر الحال هكذا حتى نهاية القرن الخامس عشر كله في مد وجزر، فظهرت العديد من الامارات الاقطاعية المستقلة.

---

[1]- مفيدة بن يوسف: المرجع السابق، ص ص 123- 129.

[2]- أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا " 1492- 1792"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص ص 64-65.

كما عرفت منطقة المغرب العربي بداية التحرشات الأوربية على أراضيها وهذا منذ بداية القرن الخامس عشر وذلك حين تمكن الاسبان من الاستيلاء على مدينة تطوان عام 1400م، كما تمكن البرتغال من الاستحواذ على مدينة سبتة عام 1415م، وحاول بنو مرين استرجاع المدن المحتلة لكن دون جدوى حتى سقطت دولتهم وخلفهم في الحكم بنو وطاس.[1]

يقول المؤرخ بروديل الذي كتب عن المغرب العربي وقد نشرت في المجلة الافريقية عام 1928م :"في مطلع القرن 16 كان الشمال الافريقي مستودع الرجال الذين يهبون دوما لنجدة مسلمي الأندلس ضد الاسبان وذلك لغاية 1415م وبعد انهيار مملكة غرناطة طلب الملك أبي عبد الله ان ينسحب مع ذويه إلى بلاد المغرب، فتحرج فرديناندو وايزابيلا من ذلك خشية ان يطلب الملك مددا من الشمال الافريقي لنجدة المسلمين، وتمكن الراهب خمينيس من اقناعهما بأن لا خطر البتة من وراء هذا الانسحاب إلى المغرب، لأن حالة الخلاف والشقاق المستحكمة بالبلاد الافريقية لن تسمح لأهلها بالاقدام على هذا العمل".

ويقول في موضع آخر: " ان جاسوسا من الجواسيس أرسلهم فرديناندو إلى بلاد المغرب العربي فقد أرسل إلى ملكه تقريرا مفصلا جاء فيه أن كامل بلاد شمال افريقيا يجتاز فترة انهيار نفسي يظهر معها أن الله قد أراد أن يجعل هذه البلاد ملكا لصاحبي الجلالة المسيحية".

ثم يقول: " في نهاية القرن الخامس عشر كانت الفوضى السياسية والاضطرابات وتداخل الممالك ببعضها البعض قد بلغت في الشمال الافريقي مبلغا لا يمكن ان نلخصه في صفحات، وإن الانسان ليصاب بنوع من الذهول وهو يتلو قائمة الممالك والامارات التي اقتسمت رقعة الشمال الافريقي"

كما يصف ليون الافريقي في كتابه وصف افريقيا قائلا: "كانت وهران تبدو أواخر القرن الخامس عشر وهي تحت السلطة الاسمية لبني زيان في صورة جمهورية تجارية حقيقية مستقلة.

[1]- أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص ص 65- 66.

أما مدينة بجاية فقد كانت في نفس ذلك العصر تكتسب ثروة طائلة وبصفة مستقلة من التجارة الواسعة التي كانت تتعاطاها مع البلاد الطليانية والقرصنة ".[1]

كانت مملكة تلمسان تشمل بصفة غير محددة الغرب الجزائري الحالي وكان رجال الدولة أواخر القرن 15م قد تحرروا من السلطة المركزية، فكان ادعياء الملك لا يجدون صعوبة في جمع الأنصار لمحاربة السلطان القائم، وكان الأبناء يثورون ويخلعون آباءهم، كما كان الأبناء يحاربون بعضهم بعضا لاقتسام ملك أبيهم.

ونفس الفوضى كانت موجودة بالبلاد التونسية حيث آل أمر بني حفص إلى العجز التام فكان الملك لا يملك حق التصرف ولا في نفس العاصمة تونس، وكان جبل الرصاص على مقربة من مدينة من مدينة تونس خارجا عن طاعة السلطة المركزية، بينما أكثر القبائل التونسية مستقلة فعلا".

ويقول عبد الرحمن الجيلالي في كتابه تاريخ الجزائر العام ج2 ص 181:

لقد أخذ صرح بني عبد الواد يتساقط منذ أن ركن ملوك هذه الدولة من بني زيان إلى التواكل والتخاذل وانهماكهم في التهالك على الرئاسة وانتشرت الفوضى بين الناس في كل ميادين السياسة والاجتماع واستبد الولاة ورؤساء القبائل والشيوخ وعمال الجهات وولاة النواحي وقادة الجيش ... وملوك الاسبان يترصدون ويترقبون الظروف المواتية للقضاء على دولة الإسلام بالشمال الافريقي".

وبداية من القرن 16م كانت دولة البرتغال تملك في المغرب الأقصى مدن: سبتة، طنجة، أصيلا، ازمور، الصويرة، أسفي، أما الاسبان فاحتلوا صخرة باديس ومدينة مليلة وايفني.[2]

[1]-أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص ص 68- 69.

[2]- نفسه: ص ص 70- 71.

المحاضرة الثالثة: المد العثماني إلى الحوض الغربي للمتوسط

يرتبط الوجود التركي عموما والعثماني في غرب البحر المتوسط بقضية المسلمين وقد طلب أهالي الاندلس طلبوا تدخل السلطان العثماني بايزيد الثاني لحمايتهم مما يتعرضون له من ضغط وإرهاب صليبي، وذلك بعد سقوط غرناطة، وقد أرسل السلطان "كما رئيس" على رأس أسطول كبير إلى الشواطئ الاسبانية عام 1489م فقام هذا الأخير باحراق وتخريب السواحل الاسبانية والإيطالية وجنوب فرنسا وسردينيا وكورسيكا ومالطا،[1] ونقل أولى قوافل المهاجرين المسلمين واليهود إلى تركيا،[2] ثم كرر كمال رئيس الاغارة على سواحل اسبانيا في عام 1510م منطلقا من السواحل المغربية وقد رافقه في هذه الحملة بيري رئيس.[3]

وقد أشار الأستاذ أوزون تجارشلي ان كمال رئيس كان يعمل في غرب البحر المتوسط قبل أن يعرض عليه السلطان بايزيد الدخول في خدمته بل نقل كاتب جلبي ان بيري رئيس اتخذ من جزيرة جربة قاعدة له ينطلق منها للاغارة على السواحل والجزر الأوربية، كما صرح بأنه أغار على بجاية وعنابة ومنها على السواحل الفرنسية وجزر البليار[4] بل نقل كاتب جلبي ان بيري رئيس كان يتدخل للمساهمة في حل المشاكل محلية لأهالي شمال افريقيا، لكن للأسف لم يورد مثالا عن نوعية هذه المشاكل التي كان يساهم في حلها، حتى تتضح لنا الصورة التي بلغ بعلاقاته السياسية والاجتماعية مع أهالي المنطقة.[5]

وبالتالي فقد اشتهر البحارة الأتراك وعرفوا بين الأهالي في غرب المتوسط سواء في شمال افريقيا أو في الأندلس قبل التدخل العثماني الرسمي لدعم مسلمي الأندلس ومن الأسماء التي لمعت قبل وصول

---

[1]- محمد دراج: الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس " 1512- 1543"، تصدير: ناصر الدين سعيدوني، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص ص 176.

[2]- عبد الجليل التميمي: الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين، المجلة التاريخية المغربية، العددان 23-24، ص 191 – ايفانوف نيقولا : الفتح العثماني للأقطار العربية " 1516- 1574"، ترجمة يوسف عطا الله، بيروت، 1988، ص ص 95-96.

[3]- نفسه: ص 228.

[4]- محمد دراج: المرجع السابق، ص 177.

[5] - pari reis : kitabi-bahriyye, istanbul,s, p p 654-664.

آل بربروس إلى غرب البحر المتوسط : " براق رئيس، وكورت أوغلو، مصلح الدين رئيس، وسنان رئيس، وبيري رئيس وغيرهم".[1]

لاحظ الباحثون ان الكثير من البحارة الأتراك كانوا يجوبون البحر بمبادرة فردية مستقلين بأنفسهم ينقلون الأسلحة إلى الأندلسيين أو مدافعين عن موانئ افريقيا الشمالية ضد هجمات الغزاة الأوربيين، كما كان بعضهم يعمل في خدمة السلطان الحفصي أو غيره من السلاطين المحليين او على الأقل يتلقون تشجيعا منهم، وبالنظر إلى الدور الدفاعي والانتقامي الذي كان يقوم به هؤلاء البحارة صار الأهالي ينظرون اليهم على انهم أبطال ومدافعين عن المسلمين،[2] فكانوا يستقبلون بحرارة في موانئ المغرب حيث اعتادوا على قضاء فصل الشتاء لاصلاح سفنهم وبيع غنائمهم وتعويض خسائرهم البشرية.[3]

وقد تعود هؤلاء الغزاة على الاستعانة بالمسلمين الأندلسيين الذين أجبروا على التظاهر بتغيير دينهم، حيث كانوا يمدونهم بالمعلومات اللازمة ليقوموا بهجماتهم على السواحل الاسبانية،[4] كما كانوا ينظمون حملات انتقامية من الاسبان الذين اخرجوهم من بلادهم مما دفع سكان الموانئ الاسبانية إلى رفع شكاوي إلى الملكة ايزابيلا معلنين انهم لم يعد في مقدورهم دفع الضرائب إذ لم يعد بإمكانهم ممارسة التجارة مع الخارج، أو زراعة أراضيهم بفعل غارات البحارة الاتراك والمغاربة.[5]

وكانت القواعد الرئيسية لنشاط هؤلاء البحارة ممتدة على طول الساحل الشمال الافريقي كطرابلس، جربة، بجاية، الجزائر، تنس، وهران، والمرسا الكبير.[6]

---

[1]- محمد دراج: المرجع السابق، ص 178.

[2]- ايفانوف نيقولا: المرجع السابق، ص ص 95-96 ، ينظر أيضا صلاح العقاد: المغرب العربي، القاهرة، 1966، ص ص 19-36.

[3]- حمدان بن عثمان خوجة: المرآة، ترجمة محمد بن عبد الكريم، بيروت، 1972، ص 82- ينظر أيضا: ايقانونف: المرجع السابق، ص ص 95-96.

[4]- نفسه: ص ص 95-96.

[5] - H.D.De Grammont, Hisstoire d'Alger sous la domination turque, p p 3-4.

[6]- مؤلف مجهول: غزوات عروج وخير الدين، تحقيق نور الدين عبد القادر، الجزائر، 1934، ص ايفانوف: المرجع السابق، ص ص 95- 96.

وفي ربيع 1513م خرج عروج للغزو فحاز من ذلك على غنائم كبيرة واستقر رأيه على أن يجعل من جزيرة جربة مركزا له يودع بها أمواله وغنائمه[1] بعدها تدارس الاخوة مستقبل عملهما في غرب المتوسط وتوصلا إلى قناعة بضرورة التوجه إلى تونس لمقابلة سلطانها ابي عبد الله محمد الحفصي " 1494-1525م"، الذي كانت تربطه بالأتراك علاقات حميمة منذ قيامه بمبادرة الصلح بين العثمانيين والمماليك في عهد بايزيد الثاني عام 1494م.

توجه الأخوان بربروس ومن معهما من البحارة الأتراك إلى سلطان تونس وقدموا له هدايا عظيمة ثم طلبوا منه أن يمنحهم مكانا يجعلونه مركزا لهم يرسون فيه ويقضون فيه الشتاء، فوافق السلطان على ذلك مقابل دفع خمس الغنائم.[2]

وبموافقة سلطان تونس على طلب الإخوة بربروس المتمثل في جعل ميناء حلق الوادي قاعدة لهم، وبالتالي فقد كان البحارة الأتراك غير مجهولين لدى أهالي شمال افريقيا وعليه تكون شهرتهم قد شاعت بين أهالي الجزائر ليس بسبب الغزوات المظفرة التي كانا يقومان بها ضد السواحل والسفن الأوربية فحسب بل لأنهم كانوا كغريهم من البحارة الأتراك يرسون في الموانئ الجزائرية لبيع الغنائم وإصلاح السفن وتعويض الخسائر البشرية بقوات جديدة، وقد أشار المؤرخ الجزائري المهدي البوعبدلي في مقدمة تحقيقه لكتاب الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني[3] إلى ان عروج كان كغيره من الأتراك كثيرا ما يتصل بالشخصيات الدينية المحلية ومن ذلك ان قابل الشيخ " الولي احمد بن يوسف الملياني الراشدي" في شرق وهران[4] وهذا يعني ان عروج كان على صلة بالمنطقة قبل استقراره بها بعد اتخاذه من جزيرة جربة قاعدة لعملياته ويؤيد ذلك ما ذكره ضياء قزيحي من ان الأخوين بربروس بدآ يظهران في غرب المتوسط ابتداء من عام 1504م.

---

[1]- محمد دراج: المرجع السابق، ص 182.

[2]- أحمد ابن أبي ضياف: اتحاف الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج2، تونس، 1999، ص 9.

[3]- أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق الشيخ المهدي البوعبدلي، وزارة التعليم الأصلي للشؤون الدينية، ص ص 15-16.

[4]- نفسه: ص ص 15- 16.

وعليه فإنه من الطبيعي ان يكون الإخوة بربروس على علم بالخصائص الجغرافية والسياسية للمنطقة ومن ثم يمكن اعتبار ظهورهم لم يكن سوى مرحلة لاحقة من مراحل الاتصال التركي والعثماني بمنطقة الشمال الافريقي.[1]

إن المتتبع لسير الاحداث في الدولة العثمانية منذ جلوس السلطان سليم على السلطة وقيامه بقمع أي حركة معارضة له وتضييقه على أتباع وانصار أخيه الشهزادة قورقود يرجح أن الاخوة بربروس لم يكونا يتطلعان إلى تأسيس دولة في شمال افريقيا بل ما كان يطمحان إليه هو القيام بواجب الجهاد ضد القراصنة الأوربيين في شرق المتوسط خصوصا وأن عروج قد عاش بنفسه تجربة الأسر الطويلة عندهم، ولمس عن قرب ما يلقاه المسلمون من آذاهم.

ولعل النتائج التي انتهت اليها تطورات الأحداث في الدولة العثمانية والاضطهاد الديني الذي كان يعيشه المسلمون في الأندلس بعد سقوط غرناطة فقد قام عروج وخير الدين بربروس في الفترة بين " 1518م – 1528م" بشن ثلاثة وثلاثين غارة على سواحل اسبانيا تم خلالها نقل 70 ألف مسلم اندلسي إلى الجزائر، بالإضافة إلى الاحتلال الاسباني لشمال افريقيا خصوصا الجزائر التي كانت خالية من أية قوة إسلامية جدية يمكنها ان تحمل مسؤولية الدفاع عن المسلمين وتحرير البلاد من الاحتلال الاسباني إضافة إلى ما تحقق على أيدي الاخوة بربروس من انتصارات عظيمة على السبان دفعهم للتفكير بشكل جدي في تطوير مشروعهم ليتحول إلى تأسيس دولة حقيقية تكون تابعة للدولة العثمانية، وهو ما أشا اليه خير الدين في مذكراته بعدما تمكن هو واخوه من الاستقرار في قلعة جيجل بعد تحريرها من الاحتلال الاسباني ومحاصرة بجاية مرتين [2]كل هذه المعطيات أقنعتهما بضرورة التركيز على هذه المنطقة الحساسة من العالم الإسلامي.

[1]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، 1984، ص ص 131- 132.

[2] - Yilmaz Oztuna, Barbaros haralan,Istanbul, 1989, p 33.

المحاضرة الرابعة: ظروف الحاق الدول المغاربية " الجزائر، طرابلس، تونس" بالدولة العثمانية

في مطلع القرن 16م كان الزيانيون يسيطرون على القسم الغربي من الجزائر إلا أنهم عمليا لا يحكمون إلا تلمسان وضواحيها وساحل البحر إلى مقربة من مدينة الجزائر بينما كانوا يحكمون نظريا بجاية وقسنطينة وبلاد الزاب، أما بقية البلاد فقد كانت مجزأة إلى وحدات سياسية صغيرة متنافرة لا يسودها الوئام.

فأغلب المدن الساحلية كوهران وتنس وشرشال والجزائر ودلس وبجاية والقل وغيرها، كانت إما تحت حكم زياني منشق عن الدولة الزيانية كابي يحي بن محمد الزياني في تنس او عن الدولة الحفصية كعبد الرحمن الحفصي في بجاية، او كانت خاضعة لسلطة مجلس منتخب من سكان المدينة كوهران، أو شيخ قبيلة كسالم التومي شيخ قبيلة الثعالبة في مدينة الجزائر.

وكانت كل المناطق الجبلية في المناطق ذاتها مستقلة تماما وتأسست في بعضها إمارات ذات اصل طرقي أو شريفي من أهمها: إمارة بني عباس في جبال القبائل جنوب بجاية، وإمارة كوكو الواقعة إلى الغرب من جبال القبائل ذاتها.

واستقلت المناطق الداخلية والجنوبية تحت حكم بعض الأسر كأسرة بني جلاب في توقرت، وعلاهم في جنوب الجزائر، وبني ورجلان في ورقلة التي كان يتولى إمارتها شيوخ الاباضية ويمتد سلطانها إلى قرى وادي ميزاب غربا وإلى المنيعة جنوبا.[1]

واما في الغرب فقد استوطنت قبائل بني عامر العربية التي كان يغمراسن قد أقطعها الصحراء المحيطة بوهران وتلمسان ليحتمي بها من خصومه المعاقيل المقيمين بسهول متيجة، كما كان قد استقدم قبيلة الهلالية فأقامها بصحراء تلمسان جاعلا منها حصنا منيعا بينه وبين بني مرين، كما أسس فريقا آخر من القبائل العربية كقبيلة عكرمة في جبال كركرة وجعل منها حواجز بشرية لحماية عاصمته.[2]

---

[1]- أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص ص 93- 95- 338 ينظرأيضا: عمار بن خروف: العلاقات بين الجزائر والمغرب " 1517- 1659م"، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة دمشق، 1985، ص 20 ، أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، مرجع سابق، ص ص 125 – 145.

[2]- محمد بن عمرو الطمار: تلمسان عبر العصور، ودورها في سياسة وحضارة الجزائر، 1984، ص 29.

والملاحظ هنا أن جميع هذه القبائل كانت مستقلة في إدارة شؤونها ولم تكن تخضع لأي سلطة سياسية وإن كانت تتبع اسميا هذه الإمارة أو تلك، وقد كان لهذه القبائل دور كبير في زعزعة الاستقرار الداخلي للجزائر، كما أنها لعبت دورا فعالا في إثارة القلاقل أثناء الفترة الأولى من الدخول العثماني للجزائر وهكذا استمر الصراع على العرش الزياني بين الإخوة مستعينين بالاسبان تارة والأتراك تارة أخرى إلى أن قرر صالح رئيس القضاء نهائيا على الدولة الزيانية بعد أن أفتى علماء تلمسان بخلع آخر أمراء بني زيان الذي خرجها ولجأ إلى اسبانيا ومات بها.[1]

وبالرغم من سوء الأوضاع السياسية التي كانت تعيشها المملكة الزيانية في مطلع القرن 16م فإن مدينة تلمسان كانت تمثل مركزا تجاريا هاما بالنظر إلى موقعها الجغرافي، ولم ينقطع عنها التجار حتى في الأوقات العصيبة، فقد كان التجار يتزودون منها بمنتوجات بلاد السودان مثل العاج، والذهب، والعبيد،[2] ويرسلون سلعهم منها إلى ما وراء الصحراء عن طريق سجلماسة، حيث تلتقي قوافل المغرب الأوسط بقوافل المغرب الأقصى وتتجه جميعا إلى تنبكتو ثم غانا، وقوافل أخرى تخرج من سجلماسة وتقصد موريتانيا ثم السنغال ومالي وغينيا[3].

ولم تقتصر حركة تجار تلمسان على جهات الصحراء فقط، بل كانت تقوم بدور الوسيط مع الأسواق الأوربية عبر موانئ المرسا الكبير[4]، وميناء وهران وهنين، التي لعبت دورا كبيرا في إنعاش الحركة التجارية بهذه المملكة، فقد ذكر الوزان ان هذه الموانئ كان يقصدها عادة كثير من التجار الجنويين والبنادقة الذين كانوا يزاولون تجارتهم عن طريق المقايضة فالسفن كانت تشحن بالسلع المحلية التي ترسل إلى الأندلس ومرسيليا وبيزا وجنوة، ثم ترجع منها مشحونة بسلع تلك البلاد.[5]

---

[1]- أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المرجع السابق، ص ص 32- 34.

[2]- شارل أندري جوليان: ص ص 201 – 202.

[3]- محمد بن عمرو الطمار: المرجع السابق، ص 205.

[4]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ص 400.

[5]- نفسه: ص ص 380- 386 – ينظر أيضا: الطمار: ص 205.

وبسبب انتعاش الحركة التجارية فقد كانت الدولة تجني من الضرائب التي تفرضها على السلع المستوردة او المصدرة عائدات كبيرة، وعندما كانت وهران تابعة للملكة الزيانية كانت هذه الأخيرة تجني أرباحا تبلغ 300.000 إلى 400.000 دينارا.

ولم يكن الانتعاش التجاري مقتصرا على موانئ الغرب الجزائري فحسب بل إن الموانئ الأخرى في شرق الجزائر والتي كانت خاضعة للأمراء الحفصيين المحليين كانت تعيش نفس النشاط فموانئ القالة وعنابة وسكيكدة كانت تستقبل السفن القادمة من جنوة وتونس وجربة فتصدر من خلالها الجلود والقمح والسمن، وتستورد الأقمشة ومنتوجات أوربية كما كانت تقوم مدن منطقة ميزاب الواقعة على أبواب الصحراء بدور الوسيط التجاري بين مدينة الجزائر، بجاية، وبين تجار بلاد السودان.

وما يقال عن تلمسان يمكن قوله عن جيجل وهنين بل يكاد هذا الانتعاش قاسما مشتركا بين المدن الساحلية التي كانت تستفيد من موقعها في التبادل التجاري مع تجار أوربا قبل الغزو الاسباني لسواحل الجزائر ابتداء من بداية القرن 16م.[1]

لكن رغم الانتعاش الاقتصادي الذي كانت تعيشه المدن الساحلية التي كانت تقوم بدور الوسيط التجاري بين أوربا وإفريقيا، إلا أن المناطق الداخلية والبعيدة عن المناطق الحضرية للجزائر كانت خارجة عن سيطرة الدولة، فهي إما خاضعة لسيطرة القبائل أو لا تخضع لأحد، الامر الذي جعلها مجالا خصبا لقطاع الطرق وعصابات البدو القادمين من الجنوب.[2]

ذكر الحسن الوزان أن غرب مملكة تلمسان كان موحشا جافا تعيش فيه عصابات من اللصوص من الأعراب الذين يقومون بقطع الطرق واغتيال الناس بلا رحمة، كما ذكر بأنه نادرا ما يفلت التجار من أيديهم ونفس الأمر ينطبق على جبال أهالي قسنطينة الذين لم يستطيعوا مزاولة تجارتهم في السهل خوفا من الأعراب، ولا في المدن خوفا من ظلم الأمراء، كما أشار إلى أن الأراضي الزراعية في ضواحي عنابة هجرها أهلها بسبب اعتداءات البدو.[3]

---

[1]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ص ص 393- 434.

[2]- عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج4، بيروت، 1984، ص ص 108-109.

[3]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ص ص 382-476.

شجع الانحلال الذي كانت تعيشه بلدان المغرب العربي كلا من اسبانيا والبرتغال على العمل لاحتلال المناطق الساحلية منه لتحقيق جملة من الأهداف الاستراتيجية التي كانا يطمحان إليها فقد لاحظ احد كتاب البلاط الاسباني هذا الانهيار وعبر عنه بقوله:" إن الحالة النفسية في كامل البلاد بلغت حدا من الانهيار يحمل على الاعتقاد بان الله أراد ان تكون هذه البلاد في متناول صاحب الجلالة".[1]

وهكذا ففي عام 1494م عقدت البرتغال واسبانيا اتفاقية لتقسيم مناطق النفوذ بينهما وقد عرفت هذه الاتفاقية ب" اتفاقية توردي سلاس" تم بموجبها تقسيم المستعمرات بحيث كانت الأقاليم الشرقية من نصيب البرتغال، والغربية من نصيب اسبانيا أما بالنسبة لشمال افريقيا فقد أضيفت لها اتفاقية أخرى عام 1509م عرفت بمعاهدة " فيلا فرنكا" تم بمقتضاها جعل المستعمرات الاسبانية في الشرق " الجزائر، تونس، طرابلس" والمستعمرات البرتغالية أي في المغرب.[2]

والجدير بالذكر أن اسبانيا شرعت منذ عقد اتفاقية " توردي سلاس " في جويلية 1494م في العمل على احتلال سواحل الجزائر، تونس، ليبيا حيث تم احتلال ميناء المرسا الكبير عام 1505م وميناء وهران قبل عقد الاتفاقية المتممة في عام 1509م التي باركها إسكندر بورجيا[3] معطيا بذلك الصبغة الدينية والرسمية لما جاء بعدها من حملات استعمارية لمدن الساحل الشمال الافريقي.[4]

ذكر بعض الباحثين[5] ان الملكة ايزابيلا كلفت اثنين من أتباعها بمهمة استطلاعية سرية في مملكة تلمسان تمهيدا لاحتلالها فتنكر المبعوثان في زي التجار، وأمضيا سنة في مملكة تلمسان حيث حصلا

---

[1]- شارل اندري جوليان: تاريخ افريقيا الشمالية" تونس، الجزائر، المغرب"، من الفتح الاسلامي إلى 1830، تر: محمد مزالي والبشير سلامة، تونس، 1985، ص 323- ينظر أيضا: بسام العسلي: خير الدين بربروس والجهاد البحري، بيروت، 1986، ص 56.

[2] - بسام العسلي: المرجع السابق، ص 58.

[3]- نفسه: ص 59.

[4]- بلقاسم نايت بلقاسم: شخصية الجزائر وهيبتها العالمية قبل 1830، الجزائر، 1985، ، ص ص 56- 57.

[5]- محمد علي عامر: تاريخ المغرب العربي الحديث...المرجع السابق، ص 13.

على كل المعلومات اللازمة لمشروع الغزو الذي كان يجري الاعداد له كما استعان الكاردينال خمينيس[1] بأحد العرفين بالساحل الجزائري من جمهورية البندقية وبناء على الملومات المتوفرة قررت الملكة مهاجمة تلمسان فأعدت قوة كبيرة بقيادة حاكم غرناطة الذي مول الحملة إلا أن موت الملكة عام 1504م أخر الحملة التي كانت حلم حياتها لكنها لم تهمل أن تطالب في وصيتها بعدم التوقف عن فتح افريقيا.[2]

وهكذا شرعت اسبانيا في الاعداد لهذه الحملة التي وضع البابا من اجل انجاحها كل الإمكانيات البشرية والمادية تحت تصرف اسبانيا فجمع القساوسة والرهبان كنوز الكنائس الثمينة لتزويد جيوش الحملة الصليبية على سواحل المغرب الإسلامي[3] فتم احتلال المرسا الكبير عام 1505م، تنس عام 1507م، وهران في عام 1509م، بجاية عام 1510، الجزائر 1511م، مستغانم عام 1511م. [4]

وفي مطلع القرن 16 كان نفوذ الدولة الحفصية يمتد من طرابلس شرقا " ليبيا " إلى قسنطينة غربا " شرق الجزائر" بعد ان اتخذت من مدينة تونس عاصمة لها، إلا أن الدولة في هذا العصر كانت قد بلغت مرحلة متقدمة من التقهقر والانهيار.[5]

---

[1]- خيمينيس: كاردينال ولد في قشتالة " 1463- 1517م"، تم تعيينه امينا لسر الملكة الاسبانية ايزابيلا سنة 1504م، ثم عين رئيسا لمحاكم التفتيش " 1506- 1516م"، تولى قيادة الحملة على وهران عام 1509م، اشتهر بقسوته في إبادة المسلمين وكان المحرض الأساسي لاحتلال مدن المغرب بغية تنصير اهله للمزيد ينظر: بسام العسلي: المرجع السابق، ص 45.

[2]- دوغرامون: المصدر السابق، ص 4

[3]- بسام العسلي: المرجع السابق، ص 58.

[4]- للمزيد اكثر ينظر: بسام العسلي: المرجع السابق ص 63- الحسن الوزان: المصدر السابق، ص ص 406-407، محمد بن عمرو الطمار: تلمسان عبر العصور، ص ص 227- 228، شارل اندري جوليان: تاريخ افريقيا الشمالية، ص 234- احمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة، المرجع السابق، ص ص 96- 102، محمد خير فارس: تاريخ الجزائر الحديث، ص 18، تاريخ المغرب العربي الحديث، المرجع السابق، ص 13، أحمد بن عبد الرحمن الشعراني الراشدي: القول الاوسط في أخبار بعض ما حل بالمغرب الوسط، تحقيق ناصر الدين سعيدوني، تحقيق، بيروت، 1991، ص 64- محمد مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 2004، ص ص 22-24.

[5] – ابن دينار محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني: المؤنس في اخبار افريقية وتونس، تونس، 1993، ص ص 155- 156- محمد بن محمد ابن السراج الأندلسي: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تح: محمد الحبيب الهيلة، ج1، بيروت، 1984، ص ص 140-146.

فقد تفوق البدو على الحضر من حيث العدد، [1]حتى صاروا يعتبرون أنفسهم أصحاب تونس الحقيقيين ومن ثم فقد كانوا يتدخلون في سياسة الدولة، ويقفون في صف من يدفع لهم اكثر ممن يطالب بالعرش ويحافظ لهم على امتيازاتهم، فوجدت الحكومات الحفصية نفسها مضطرة إلى أن تدفع لهم إعانات لكسبهم إلى صفها [2]كما كانوا يقومون بالثورة والشغب ضد كل من يحاول حرمانهم من امتيازاتهم.

وقد حاول السلطان الحفصي أبو عبد الله محمد الخامس " 1494- 1526م" ان يتخلص من وصاية البدو لكنه مني بهزيمة كبيرة قرب القيروان، فكان من أثر هذه الهزيمة أن تشتت القوى المركزية وتحولت الدولة إلى اقطاعيات متفرقة يحكمها شيوخ القبائل.[3]

ولم يعد أمراء الدولة الحفصية في قسنطينة، عنابة، بجاية، يعترفون بخضوعهم للسلطة المركزية[4] وبعد وفاة السلطان عثمان رفض سكان جربة الاعتراف بسلطة الحفصيين وشكلوا جمهورية مستقلة[5] وحذا سكان طرابلس حذوهم، فتخلصوا من الحفصيين والتحقوا بسلطة المرابط المحلي.[6]

وأما الجيش الحفصي الذي كان ذات يوم من أفضل جيوش افريقيا الشمالية فقد أصبح عاجزا عن مقاتلة أي عدو بسبب قلة عدده وعدته، إذ كان يتشكل من المرتزقة النصارى والعبيد السود والأتراك،[7] وفوق هذا فغن تجهيز الجيش لم يكن في مستوى العصر إذ بقي مسلحا بالأقواس والحراب مفتقرا إلى الأسلحة النارية التي كانت تلعب دورا حاسما في تقرير نتائج الحروب في ذلك العصر.

---

[1]- شالرل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 221.

[2]- نيقولا ايفانوف: القبائل الحرة والمرتحلة في شمال افريقيا في القرن 14، مقال منشور في كتاب تاريخ البلدان العربية، موسكو، 1963، ص ص 152-192.

[3]- أحمد ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص 195، ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص ص 182- 184، محمد بن محمد بن السراج الأندلسي: الحلل السندسية في الأخبار الأندلسية، تح: محمد الحبيب الهيلة، بيروت، 1984، ص 204.

[4]- أتوري روسي: ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911، تر: خليفة محمد التليسي، بيروت، 1974، ص ص 125-126.

[5]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ص 467.

[6]- محمد بن محمد بن السراج الأندلسي: المصدر السابق، ص 182.

[7]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ص 453- محمد بن محمد بن السراج الأندلسي: المصدر السابق، ص 209.

واما القلاع فقد كانت تفتقر إلى الكثير من ضروريات الدفاع[1] وعليه فإنه من الطبيعي ان يظل الجيش الحفصي عاجزا حتى عن التصدي للقراصنة الأوربيين الذين لم يتوقفوا عن تدمير سواحل المغرب الشرقية ففي عام 1510م استولى الاسبان دون صعوبة على مدن الجزائر، بجاية وطرابلس الغرب وهاجموا جربة ولم يتمكن أبو عبد الله محمد الخامس من القيام بأي عمل لاستعادة المدن المحتلة بل جاءت المقاومة الوحيدة من طرف سكان المدن والقرى المجاورة.[2]

وبخصوص ليبيا فإنها كانت قبل عام 1498م جزءا من الدولة الحفصية ثم خرجت من أيديهم في بداية حكم أبي عبد الله محمد الخامس الحفصي وأسست دولة أشبه بجمهورية مستقلة يحكمها رجال الطرق الصوفية الذين كانوا يعرفون بالمرابطين، ولكن القسم الشرقي من البلاد ويسمى برقة فقد كان خاضعا لسلطة المماليك، غير أن السلطة الحقيقية كانت في يد البدو الذين ظلوا يمثلون القوة الحاسمة في برقة وطرابلس وفزان لأنه منذ القرن 12م انساحت اعداد كبيرة من البدو في مختلف المناطق الداخلية لليبيا فاتت على آخر الحدائق والبساتين فلم يحل القرن 14م حتى كانت المدن الممتدة على ساحل برقة قد تحولت إلى اطلال.[3]

وفي أواخر القرن 15م أسس المهاجرون الأندلسيون مدينة بنغازي التي حلت بها جماعات المهاجرين القادمين من طرابلس وبلدان الشرق الأدنى فتحولت المدينة إلى ملجأ للبحارة والتجار المسافرين عبر البحر من الإسكندرية إلى المغرب وبالعكس.

لقد كانت طرابلس هي المدينة الوحيدة المزدهرة بفضل قيامها بدور الوسيط التجاري لا سيما مع البلدان الافريقية وذلك بفضل تشكيل اهاليها لنظام شبه جمهوري مستقل عن السلطة المركزية في تونس.[4]

---

[1]- نيقولا ايفانوف: الفتح العثماني للاقطار العربية " 1516- 1574"، تر: يوسف عطا الله، بيروت، 1988، ص 180.

[2]- نفسه: ص ص 177- 182، أتوري روسي: المرجع السابق، ص ص 148- 149.

[3]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ص 439.

[4]- نيقولا ايفانوف: الفتح العثملي...المرجع السابق، 215- 126.

وفي عام 1510م احتل الاسبان مدينة طرابلس وقتلوا قرابة 6.000 من سكانها واخذوا 10.000 أسيرا بيعوا بالمزاد في أسواق باليرمو بايطاليا، وهرب الباقون إلى مدينة تاجوراء وجبال غريا ومسلاتة[1] التي جعل منها الأهالي قاعدة لمقاومة الاحتلال قبل أن يرسلوا وفدا إلى استنبول مستنجدين بالسلطان العثماني عارضين عليه في الوقت نفسه رغبتهم في إلحاق بلدهم بالسلطنة العثمانية.[2]

أشار الرحالة الوزان في رحلته إلى أن سكان المدن التونسية قد انخفض كثيرا وبعضها هجرها أهلها لأسباب مختلفة فمدينة سوسة مثلا خلت من سكانها بسبب ظلم الملوك، ولم يبق منها سوى خمس بيوتها ولا يوجد فيها اكثر من خمس أو ست دكاكين، واندثرت اطلال المدن والقرى التي ذكرها الرحالة في مطلع القرن 12م فأصبحت أثرا بعد عين، أما التي بقيت فقد تحولت إلى خرابات متصدعة أو شبه منهدمة، بعد أن كانت تمثل أروع نماذج الحضارة والمدنية.

كما زالت معالم الحياة الزراعية إلا في نواحي المدن الساحلية والقرى الجبلية الكبيرة، واما السهول فقد استحالت إلى بقاع مهجورة بسبب أعمال السلب التي كان يقوم بها الأعراب.

ونظرا لعجز السلطة المركزية عن توفير الأمن لرعاياها فقد كان الأهالي يحمون انفسهم بأنفسهم فيقيمون المنشآت الدفاعية يحتمون بها من هجمات البدو، ويدفعون مبالغ كبيرة لشيوخ القبائل مقابل ضمان حمايتهم.[3]

وكان الحضر يكرهون البدو ويعتبرونهم خارجين عن الدين ولذلك فقد كانوا يرون قتالهم جهادا ونظرا لشدة فساد هؤلاء الاعراب فقد أصدر فقهاء تونس في ذلك العصر فتاوى اعتبروهم فيها مارقين من لدين لا يجوز بيع السلاح لهم.[4]

---

[1]- ابن غلبون أبو عبد الله محمد بن خليل غلبون الطرابلسي: التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من اخبار، تح: أيمن البحيري، بيروت، 1998، ص 98.

[2]- نفسه: ص 100.

[3]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ص ص 456- 448.

[4] - ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص 183 ، محمد بن محمد بن السراج الأندلسي: المصدر السابق، ص 208.

وفي ظل شعف السلطة وعجزها كان السكان يعيشون في أسوء مظاهر البؤس والمسبغة حتى دفعت الفاقة نساءهم إلى سلوك طريق طريق الفاحشة لتأمين لقمة العيش والشباب إلى التخنث والفجور ومن كان محظوظا منهم فقد كان يقوم بأعمال بسيطة لتأمين قوته كدباغة جلود الأغنام وبيع الثياب الجلدية وصباغة الأقمشة والصيد وبيع الفحم وغير ذلك من الأعمال التي لا تكاد تحقق لهم الاحتياجات الضرورية اليومية ويستثنى من هذه الظروف الصعبة أهالي مدينة تونس الذين كانوا يحيون حياة أفضل فقد ذكر الوزان انها كانت مدينة مزدحمة بالسكان الذين اغلبهم يشتغل بصناعة وتجارة الأقمشة.

كما أن بها عدد كبير من التجار والصناع المهرة، ولا غرابة في ذلك نظرا لكونها عاصمة الدولة ومن الطبيعي ان تكون لها ولسكانها ظروف خاصة تجعلها تعيش في وضع أفضل من غيرها من المدن، كما كان الشأن في عاصمة الزيانيين تلمسان وعاصمة المرينيين ثم الوطاسيين فاس.

وبالرغم من ظروف الفقر الشديد والتدهور الشامل لكل أوجه النشاط الاقتصادي والاجتماعي في تونس الحفصية، فإن سلاطين هذه المملكة لم يكونوا يتورعون عن ارهاق رعاياهم بمزيد من الضرائب والغرامات التي ضاعفت من بؤسهم وفقرهم حتى اضطر الكثير منهم إلى هجر أراضيهم، ومدنهم فرارا من هذه الضرائب والاتاوات،[1] واما عن سلوك الملك أبي عبد الله محمد بن الحسن الحفصي فقد أشار الوزان إلى أنه كان بارعا في استخلاص المال من رعاياه، فيعطي قسما منه للأعراب تفاديا لثورتهم وأما الباقي فينفقه على بناء القصور، حيث يحيا حياة كلها ميوعة وشهوانية بين الموسيقيين والمطربين والمطربات بينما شعبه يتضور جوعا.[2]

[1]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ص ص 438- 465

[2]- نفسه: ص 454- ينظر أيضا: أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا--- المرجع السابق، ص 229.

المحاضرة الخامسة: تطور نظام الحكم في الجزائر:

استمر الحكم التركي للجزائر من عام 1518 إلى غاية تاريخ الاحتلال الفرنسي عام 1830، حيث مر بأربعة عهود أو فترات مختلفة، وكل مرحلة تميزت بأسلوب معين في تسيير شؤون البلاد، لكن قبل الخوض في طبيعة وخصائص كل حكم لا بأس أن نشير إلى نقطتين مهمتين:

- الجزائر بعيدة عن القسطنطينية وبالتالي كانت تسير من طرف بعض العناصر القوية في مدينة الجزائر.

- كانت هناك فئتين أو طبقتين سيطرت على الجزائر طيلة الحكم التركي بها، ففي المرحلة الأولى منه كانت الطبقة الحاكمة بالجزائر هي فئة " الرياس "، أما الفئة الثانية التي سيطرت على الجزائر لمدة طويلة فهي فرقة " اليولداش " المتكونة من الجيش البري (الانكشاريين) وكان اليولداش لا يشعرون بالانتماء إلى الجزائر، والشيء المهم بالنسبة لهم هو السيطرة على البلاد وقتل كل من يعترض طريقهم، والحقائق التاريخية تؤكد أنهم كانوا يخلعون الحاكم الذي لا يرضيهم ويضعون بدله الشخص الذي يروق لهم، علما أن نفوذهم في الجزائر لم ينته إلا في سنة 1817 عندما قام الداي علي خوجة بحملة ضدهم.[1]

1-عهد البايلربايات (1518 -1587) : يمثل هذا العصر أزهى عصور الحكم التركي في الجزائر، حيث ازدهرت البلاد في هذه الفترة من النواحي التعليمية والاقتصادية والعمرانية، وذلك بفضل التعاون بين فئة الرياس في القيادة وأبناء الجزائر، وقد ساهم في تنمية البلاد وازدهارها مهاجروا الأندلس الذين وظفوا خبراتهم ومهاراتهم في ترقية المهن والبناء العمراني وتقوية الاقتصاد الجزائري .

ويمكن تلخيص عصر البايلربايات من خلال أبرز خصائصه وانجازاته كالتالي:

- دام عهد البايلربايات مدة 70 سنة.
- يأتي قرار تعيين الحاكم في الجزائر من طرف السلطان العثماني.
- كانت السلطة في يد رياس البحر أو جنود البحرية.
- تحرير برج فنار عام 1529 من الاسبان، وتحرير بجاية من الاحتلال الاسباني عام 1555، وإنهاء الوجود الاسباني في تونس عام 1574.
- ازدهرت الجزائر في هذه الفترة التي تميزت الحياة السياسية فيها بالاستقرار وتحالف الجميع ضد العدو الاسباني.

[1]- عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1997، ص 56.

-بداية بناء الأسطول الجزائري وتأسست فيها الوحدة الإقليمية للجزائر [1].

أهم الأحداث التي شهدتها فترة البايلربايات :

أ-على الصعيد الداخلي : امتازت هذه مرحلة على المستوى السياسي الداخلي بالقوة و توطيد ركائز الحكم، وتوحيد رقعة البلاد، حيث استطاع البايلربايات أن يحققوا الوحدة الإقليمية والسياسية للجزائر، التي امتد نفوذها وسيطرتها إلى كل الجهات شرقا وغربا وجنوبا، والقضاء على كل الإمارات المحلية : إمارة تلمسان، الإمارات الحفصية في قلعة بني عباس، قسنطينة وعنابة، وإمارة جبل كوكو بالقبائل، ويعد "صالح رايس" البطل في تحقيق هذه الوحدة، لاجتهاده في مد نفوذ الأتراك إلى واحات الجنوب وقضى على الدولة الزيانيةبتلمسان، وقام بفرض طاعة سلطة الجزائر على كل المناطق.

وفيما يخص تنظيم البلاد اداريا فقد كان لجهود صالح رايس أثر في ذلك بعد أن امتد نفوذ السلطة التركية إلى معظم المناطق الشرقية و الغربية و الجنوبية للجزائر، حيث اهتم البايلرباي حسن باشا ابن خير الدين في ولايته الثانية بتنظيم إدارتها ، إذ قسمها إلى أربعة بايلكات (عمالات):

- بايلك الجزائر ومركزها مدينة الجزائر (دار السلطان).
- بايلك الشرق ومركزها مدينة قسنطينة.
- بايلكالتيطري ومركزها مدينة المدية.
- بايلك الغرب ومركزها مدينة مازونة ثم معسكر ثم وهران[2].

أما على المستوى الاقتصادي والعمراني، فقد اهتم البايلربايات بتشييد المساجد وسخروا الأوقاف الطائلة على مشاريع البر والإحسان، وشهدت مدينة الجزائر العاصمة خاصة حركة عمرانية كبيرة ،بالإضافة إلى بناء الحصون، المدارس، القصور، حمامات، مستشفيات، وقلاع ضخمة لا تزال آثارها شاهدة إلى الوقت الحالي.

ومن الناحية الاقتصادية امتازت البلاد بغناها الاقتصادي الكبير مصدره الثروات الزراعية والحيوانية، وما يأتيها من أموال الزكاة على الماشية والحبوب والزيتون وأنواع المدخولات الأخرى من رسوم وضريبة الصادرات وخمس غنائم البحر التي كان يغنمها الرياس وأموال الجزية التي كانت مفروضة على الدول الأوروبية، وعلى المستوى الصناعي فقد عرفت الصناعة تطورا كبيرا مثل: صناعة النسيج، البرانس،

[1]- عمار بوحوش: المرجع السابق ، ص ص 57-58

[2]-بشير بلاح: تاريخ الجزائر المعاصر من " 1830-1989" ج1، دار المعرفة، 2006، ص 18.

الزرابي، والحياك، كما كانت تصدر كميات وفيرة من الحبوب والبضائع: الصوف، الجلود، الشمع والنسيج إلى الخارج[1].

ب–على الصعيد الخارجي: كان ولاة هذا العهد كلهم أقوياء اثبتوا جدارتهم سواء في الداخل أو الخارج، وبفضل مركزهم ومكانتهم مدوا سيطرتهم على تونس وطرابلس، وتحكموا في تسييرها والوصاية عليها، فبحكم لقبهم البايلرباي يعينون باشوات تونس وطرابلس، وذلك نيابة على الدولة العثمانية وكذا من يخلفهم بالجزائر عندما ينتقل أحدهم.

أما على مستوى العلاقات السياسية الخارجية فقد استطاعت الجزائر بفضل امتلاكها لأسطول قوي، أن تفرض إرادتها على الدول الأوروبية وإرغامها على دفع إتاوات مقابل ضمان الأمن والسلام لمراكبها في حوض البحر الأبيض المتوسط. حيث استفحل في تلك الفترة نشاط القرصنة في البحر المتوسط .وبالتالي كانت علاقة الجزائر مع أوروبا في هذه الفترة علاقة القوي بالضعيف، وكانت الجزائر بطبيعة الحال هي القوية[2].

ومن جهة أخرى تنافست الدول الأوروبية على اقامة علاقات دبلوماسية وتجارية مع الجزائر، لكن هذا التفوق العسكري جعلها مستهدفة من طرف الدول الأوروبية التي عملت دون هوادة من أجل تكسير شوكتها وتقليص دورها ومكانتها الدولية، وهذا ما تم تجسيده في مؤتمر فيينا واكس لاشابيل.

وعلى صعيد آخر اشتدت في هذه الفترة الحملات الاسبانية على الموانئ الجزائرية، حيث شنت اسبانيا حملة ضخمة على مدينة الجزائر في أوت 1519، وحملة شارلكان (Charles Quint) الشهيرة سنة 1541، باءت كلها بالفشل [3].

كما شهدت فترة البايلربايات بداية تسرب النفوذ الفرنسي إلى الجزائر، نتيجة للعلاقات الطيبة التي كانت تربط بين فرنسا والامبراطورية العثمانية، وبسبب عداء الجزائريين والأتراك للأسبان، إضافة إلى تنافس فرنسا التقليدي حول وراثة مشاكل القارة الإفريقية. " وتعود العلاقات الطيبة بين الدولتين إلى أيام السلطان سليمان القانوني وفرانسوا الأول، حيث حصلت فرنسا على امتيازات واسعة في أملاك الخلافة العثمانية عام 1535. ومن أهم هذه الامتيازات نذكر صيد المرجان بالسواحل الشرقية الجزائرية (القالة، عنابة، القل)، وقاموا بإنشاء حصن القالة الفرنسي سنة 1561، وتدعم ذلك الامتياز بعد

[1]– بشير بلاح: المرجع السابق، ص ص 20–21

[2]– نفسه، ص ص 23–24.

[3]– نفسه: ص 21.

توقيع معاهدة السلم و التجارة بين الطرفين في عام 1628.مع العلم أن هذه الامتيازات تسببت في إحداث أضرار جسيمة للتجارة الجزائرية التي أصبحت موجهة لخدمة الأسواق الأوروبية. كما شارك الأسطول الجزائري الناشئ في الحرب الفرنسية ضد اسبانيا[1].

2- عهد الباشوات[2] (1587-1659): قبل البدء في الحديث عن خصائص هذا العهد، وأهم الأحداث التاريخية التي جرت فيه، لا بد من الاشارة إلى أسباب تغير النظام السابق:

لقد كان ولاة عهد البايلرباي أقوياء، وأصحاب نفوذ واسع، تخطت سلطتهم الجزائرإلى تونس، وطرس حكم أنهم أصحاب فضل في فتح هذين البلدين، والحاقهما بالدولةالعثمانية، التي كافأتهم على ذل ك بإعطائهم امتيازات واسعة، ولما كانت مدة حكم

هؤلاء البايلربايات غير محدودة فكثيرا ما تمتد فترة الواحد منهم عدة سنوات في منصبه، ويصبح صاح ب مركز قوي، ونفوذ واسع لدرجة أن الدولة العثمانية بدأت تشتم رائحةالتمرد، ومحاولة الانفصال ع نها، والاستقلال بهذه البلاد، فتقرر تقصير مدة حكم الواليإلى ثلاث سنوات فقط، والتنقيص من امتيا زاته السابقة، واختصاصاته، وتغيير لقبه الى الباشا.

ويذكر بعض المؤرخين أن الانكشارية هي التي ظلت تثير تخوفات وشكوك الباب العالي في نية البايلربايات طوال فترة حكمهم، الأمر الذي جعل من رجال الدولة العثمانية يرون أن السلطة في الولايات الثلاث: الجزائر، تونس، طرابلس تحت حكم رجل واحد قد يشكل خطرا على الإمبراطورية العثمانية، وبالتالي لابد من تقسيم الحكم و فصل الولايات عن بعضها البعض، وإسناد كل إدارة إلى باشا يحكم لمدة ثلاث سنوات، وذلك لإحكام السيطرة على البلاد ومنع حدوث أي تمرد ضدها. وبهذا تكون الدولة العثمانية قد فكرت في تأمين وحدة الامبراطورية، مانعة أن تكون إدارة شمال افريقيا كله بيد شخص واحد ولمدة طويلة[3] .

---

[1]- عمار عمورة : المرجع السابق، ص ص 92-94.

[2]- الباشا : أصلها باش بمعنى الرأس باللغة التركية، وهي من ألقاب التشريف التي شاع استعمالها في العهد العثماني منح في البداية لكبار ضبط الجيش والبحرية، ثم أطلق على الوزراء والولاة فعلى كبار الأعيان ورجال الدولة من غير الوزراء، ألغي مع انهيار الدولة العثمانية وقيام الجمهورية التركية عام 1923-1924 ينظر مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 65

[3]- عمار بوحوش : المرجع السابق، ص 58.

وعلى صعيد آخر فإن هذا التغيير (تغيير النظام السابق البايلربايات إلى الباشوات) يعود إلى الصراع القائم بين طبقة الرياس وجنود الانكشارية، وذلك منذ نشأة الدولة الجزائرية التي قامت وتأسست على أكتاف رجال طائفة الرياس مثل خير الدين ومن خلفه. وعليه أراد السلطان العثماني أن يخفف حدة النزاع بين الفئتين وخاصة أن فئة اليولداش (الانكشارية) كانت مستاءة من تمتع فئة جنود البحرية بلقب البايلربايات أو أمير الأمراء، ولذلك قرر السلطان العثماني "مراد الثاني"، إلغاء هذه الرتبة وتعويضها برتبة أخرى هي رتبة الباشا.

وقد تميزت هذه المرحلة من مراحل الحكم العثماني في الجزائر بمايلي[1] :

- تعيين باشا تركي في كل من الجزائر وتونس وطرابلس، بعد أن كان هناك حاكم واحد للمنطقة يوجد مقر حكمه بالجزائر.
- يقوم السلطان العثماني بتعيين باشا كل 3 سنوات يقوم بإرساله من تركيا ويستدعيه بعد انتهاء فترة تعيينه، على أن يقوم بإرسال باشا آخر من هناك.

وبالتالي أصبح كل باشا يشعر أنه ليس في حاجة إلى ولاء الشعب مادامت مدة ولايته محدودة، فأصبح همه الوحيد هو جمع أكبر قدر ممكن من الأموال طوال فترة حكمه، ومادام الحصول على الثروة هو الهدف الأساسي للباشوات فقد أصبحت قضية الحكم مسألة ثانوية لا تهمهم.

- إن انصراف الباشوات إلى السلب والنهب وجمع الثورة قبل عودته إلى القسطنطينية، دفع باليولداش أو رجال الجيش البري أن يثوروا عليهم ويضعفوا نظام الحكم في الجزائر.
- بدأت تظهر الخلافات والتناقضات بين جنود البحرية الجزائرية وجنود البحرية العثمانية، وخاصة عندما حاول الأتراك أن يخضعوا المصالح الجزائرية لمصالح الامبراطورية العثمانية .
- كما ظهر التصادم والتنافر بين جنود البحرية وجنود القوات البرية، وخاصة أن رجال البحرية كانوا يحصلون على غنائم كبيرة من جراء غاراتهم البحرية الناجحة على أساطيل القوات الأوروبية، وهذا الصراع هو الذي تسبب في اضعاف الدولة الجزائرية .

إن هذا الصراع راح ضحيته الأهالي نتيجة ظلم الانكشارية وانصراف طبقة الرياس إلى مصالحها الخاصة و التخلي – تقريبا – عن دورها في الاهتمام بالرعية ومصالحها.

[1]- عمار بوحوش: المرجع السابق، ص ص 58-59.

- برزت قوة الرياس أو قوة رجال البحرية الجزائرية إلى درجة أن دول أوروبا أصبحت تخشى الجزائر وتسعى لإقامة علاقات تعاون معها[1].

ومن بين أبرز الأحداث التي شهدها عهد الباشوات على الصعيد الداخلي والخارجي نذكر:

أ-على الصعيد الخارجي :

- عمل باشوات الجزائر على وضع حد لامتيازات التجار الفرنسيين بسبب تأييد فرنسا لاسبانيا في عدوانها على الجزائر، حيث قام الباشا خضر بتحطيم المركز الفرنسي بالقالة وأسر رواده، وبالمقابل أخذ الفرنسيون يعتدون على السفن الجزائرية وكان رد الجزائر بالمثل، حيث أسر القنصل الفرنسي بالجزائر، وعلى إثر ذلك تعقدت العلاقات الدبلوماسية الفرنسية مع الجزائر من جهة و مع الخلافة العثمانية من جهة أخرى، فاضطرت فرنسا إلى التفاوض و إبرام معاهدة بتاريخ 1628/09/19 نصت على مايلي:
  - إطلاق صراح الأسرى من الجانبين، التوقف عن الأسر من الجانبين.
  - مسالمة البواخر الفرنسية في البحر، تعيين قنصل فرنسي بالجزائر يتمتع بحصانة دبلوماسية .
  - إعادة بناء المركز الفرنسي التجاري بالقالة[2].

الجدير بالذكر أن فرنسا لم تحافظ على نصوص المعاهدة وقامت بالاعتداء المتكرر على السفن الجزائرية وشواطئها وقتلت الكثير من الجزائريين، وكان رد الجزائر بالمثل بتتبع مراكب فرنسا وأسر ما فيها.

- سوء العلاقة السياسية بين الجزائر وتونس بسبب تدخل الباياتالتونسيين في بشؤون شرق الجزائر، حيث كانوا يشجعون على قيام الاضطرابات، وتمت المصالحة بين البلدين بإبرام معاهدة صلح عام 1628م.
- شنت أوروبا حملة على مدينة الجزائر في أوت 1601 بقيادة الاسباني " جان دوريا " (Doria) ومباركة البابا متكونة من سبعين سفينة حربية وعشرة آلاف جندي من فرنسيين وايطاليين واسبانيين متبعة في ذلك خطة الكابتان الفرنسي " روكس "، لكنها باءت بالفشل.
- كثرة الغزوات البحرية الجزائرية ضد السواحل الأوروبية، وخاصة في عهد الباشا الأول " أحمد باشا " (دالي أحمد) الذي قاد بنفسه حملات عام 1588 هاجم شواطئ نابولي وصقلية وكورسيكا واسبانيا[3].

---

[1]- عمار بوحوش: المرجع السابق، ص 59.

[2]- عمار عمورة : المرجع السابق، ص 98.

[3]- نفسه: ص 97.

ب–على الصعيد الداخلي :

عرفت الجزائر العديد من التمردات والثورات امتد لهيبها إلى الأعماق الصحراوية وإلى منطقة القبائل الكبرى نتيجة ارهاقهم بالضرائب ، كثورات القبائل (1643) التي اندلعت بسبب زيادة الضرائب على المناطق القبلية، وذلك ليتمكن الباشوات من جمع المزيد من المال وبسرعة، وفي اعتقادهم أن القبائل لا تثور، بالإضافة إلى الثورة العارمة التي تزعمها رياس البحر من جهة والجنود الانكشاريون من جهة ثانية، حيث ثارت الفئة الأولى بسبب قيام الباشا إبراهيم بحرمانهم من المبالغ المالية التي خصصها لهم الباب العالي تعويضا عن خسائرهم في منطقة البحر الأدرياتيكي، وقيامه بدفعها كرشاوي لرجالات الدولة في القسطنطينية حتى يبقوه في منصبه، ومن أجل ذلك هاجم رياس البحر قصره واعتقلوه وأودعوه السجن، ثم بعد ذلك تم ترحيله إلى " إزمير "، أما فئة الانكشارية فقد ثارت على نظام الباشاوات بسبب تطلعها المستمر إلى السيطرة والحكم بشتى الوسائل.

وبالتدرج انتقلت إدارة الولاية الى الانكشاريين وكسب ديوانهم قوة ونفوذا، وصار الباشوات موظفين فقط برئاسة الاحتفالات الرسمية وبعقد المعاهدات، وانتهى الأمر بسيطرة فرقة الانكشارية على السلطة سنة 1659 ، واختفاء نظام الباشوات، وظهور نظام جديد عرف بعهد الآغوات.

وقد تقرر إعطاء السلطة التنفيذية للأغا رئيس الفرقة العسكرية ، أما السلطة التشريعية فقد تقرر أن تكون بيد الديوان وبالتالي أصبحت طائفة الرياس تحتل مكانة ثانوية في شؤون الحكم [1].

3–عهد الآغاوات[2](1659–1671):

تعتبر هذه الفترة من أقصر فترات الحكم العثماني في الجزائر، حيث عرفت فيهاالبلاد اضطرابات سي اسية كبيرة في نظام الحكم، من انقلابات، واغتيالات، وفساد، وتعرض
الحكم التركي فيها لهزات عنيفة عجز فيها عن توفير الأمن والاستقرار الداخلي[3].

ويصف معظم المؤرخين عصر الآغاوات بالدموي وذلك لكثرة عمليات الاغتيال التي يرجعون سببها أساسا إلى طبيعة تعيين الآغا، والمتمثلة في انتخاب آغا جديد من طرف الجند كل شهرين حسب

[1]–عمار عمورة: المرجع السابق، ص 97.

[2]– الآغا: كلمة فارسية أصلها " آقا" وهي بمعنى الأب أو العم أو الأخ الكبير أو السيد الآمر، استعملها الأتراك لدلالات كثيرة أهمها: آغا الانكشارية وهو لقب أبرز رجال الدولة، وهو بمثابة قائد الجيش ينظر، مصطفى عبد الكريم الخطيب، المرجع السابق، ص 11.

[3]– عمار بوحوش : المرجع السابق، ص 59.

الأقدمية من بين ضباط الانكشارية، وهو ما يشكل بحد ذاته خطرا على السلطة ، انعكس بدوره سلبا على المجتمع، وبرغم قصر فترة نظام الأغوات فقد تعاقب أربعة منهم على الحكم كلهم قضوا اغتيالا، حتى أن الجند لم يجدوا من يقبل بهذا المنصب الذي أصبح أقبل السبل للموت.

ومن أهم خصائص هذا العهد نذكر:

- السلطة التنفيذية بيد أحد أعضاء الجيش الانكشاري ، أما السلطة التشريعية فيتولاها الديوان .
- أصبحت طائفة الرياس تحتل مكانة ثانوية في شؤون الحكم، وبالمقابل سيطرة الانكشارية على السلطة .

-قرر ديوان الانكشارية أن يتولى الآغا الحكم عن طريق الانتخاب، على أن يبقوا في الحكم لمدة شهرين اثنين فقط، وبالتالي أصبح الديوان هو الذي يقوم بانتخاب " الآغا " المنتدب للحكم، بعدما كان الحاكم يعين من قبل السلطان العثماني خلال مرحلتي " البيلربايات، والباشاوات. "

اضمحلال نفوذ السلطان العثماني و غياب السيادة العثمانية في الجزائر ، و نتج عن ذلك استياء تركيا من انفصال حكام الجزائر عنها و قطع كل المساعدات عنهم.

وفي هذا الصدد أرسل الصدر الأعظم "كوبرلو محمد بن باشا " فرمانا إلى الجزائريين يخبرهم فيه " أخيرا لن نرسل إليكم واليا ، بايعوا من تريدون ...لدينا الآلاف من الممالك مثل الجزائر ..."

وضع الاغتيال كقاعدةأساسية لكي يحل آغا جديد محل آغا قديم رفض التخلي عن السلطة ، وانتهت مدته ، الأمر الذي جعل كل الآغاوات يقتلون عندما حاولوا عدم التخلي عن مناصبهم استفحال الصراعات المحلية سواء بين ضباط الجيش البري أو ضباط الجيش البحري، وتذمر أبناء الشعب من الفساد السياسي وانتشار الفوضى في البلاد .

نجح "اليولداش " في قلب نظام الحكم والانفصال عن العثمانيين والحد من سلطة " الرياس" لكنهم فشلوا في انشاء نظام سياسي ديمقراطي ناجح.

كان الانقلاب على الباشوات عبارة عن انتقام من طائفة أو فئة الرياس التي كانت كلمتها مسموعة غي عهد الباشاوات[1] .

أما فيما يخص أهم الأحداث التي شهدتها فترة حكم الآغاوات فنلخصها فيمايلي :

[1]-عمار بوحوش : المرجع السابق، ص ص 59-60.

أ-على الصعيد الخارجي :

-برز الصراع بين فرنسا و انجلترا حول السيطرة على افريقيا الشمالية.

- كثرت الغارات البحرية الفرنسية ضد الجزائر ، ففي عام 1663 شنت فرنسا حملة عسكرية بقيادة الدوق دوبوفور (Duc Beaufourt) للاستيلاء على مدينة الجزائر، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل، فنظمت حملة أخرى انطلقت من ميناء تولون (Toulon) يوم 23 جويلية 1664 تحتوي على 83 سفينة و8000 عسكري بقيادة كولبير(Colbert) والدوق دوبوفور ونزلت بجيجل، لكن سكانها والأتراك أجبروهم على الرحيل بعد معركة دموية خسرت فيها فرنسا العديد من بواخرها وجنودها، فكرر ملك فرنسا لويس الرابع عشر عام 1665 هجوما آخر فاشلا على كل من مدن شرشال والقل وجيجل[1]، ولم يعد السلم بين الدولتين إلا بإبرام اتفاقية جديدة مع فرنسا. في 7 ماي 1666 التي نصت على اطلاق الأسرى من الجانبين ومسالمة سفن الجانبين في البحار، وبعد إبراهم المعاهدة حصل هدوء نسبي بين البلدين لتدخل قوات أخرى في الصراع .

- قامت انجلترا عام 1669 بشن هجوم على الجزائر و الاعتداء على مراكبها في عرض البحر لكن المدفعية الجزائرية أجبرتها على العودة ، و في سنة 1671 هاجم الانجليز ميناء بجاية وأضرموا النار في اثني عشر مركب جزائري ، كما هاجموا ميناء الجزائر واضرموا النار في ثلاثة مراكب .
- دخل حلبة الصراع ضد الجزائر إلى جانب الفرنسيين والانجليز كل من الاسبان والهولنديين، وكاد الأمر يتحول الى تحالف أوروبي ضد الجزائر، إلا أنها تفطنت وفوتت الفرصة فصالحت الهولنديين عام 1663 لمحاربة الفرنسيين، وصالحت الفرنسيين لتحارب الانجليز والهولنديين، وفي عام 1671 صالحت الانجليز لتعود الى الحرب مع فرنسا وهكذا[2].

ب-على الصعيد الداخلي :

- الانفصال عن الخلافة العثمانية و الاستقلال بالجزائر من الناحية الشكلية .
- امتنع الرياس عن تقديم الدعم الاقتصادي للانكشاريين " الطبقة الحاكمة" و كانوا يسعون إلى إثارة الاضطرابات ضد الأغوات محاولة منهم لاستعادة السلطة التي سلبت منها.
- عدم رضا الأهالي عن الطبقة الانكشارية .

---

[1]-عمار عمورة: المرجع السابق، ص 99.

[2]-نفسه: 97.

فشل الآغوات في فرض نفوذهم على السلطة، كمانشبتعدة ثورات ضدهم في جهات كثيرة مثل :ال عاصمة، وبلاد القبائل عام 1668 م، نالت منهيبتهم

وجعلتهم عاجزين على القبض بزمام الأمور. الأمر الذي شجع طائفة رياس البحر لاستعادة مكانتهم وبعد اغتيال علي أغا عام 1671. ألغي هذا النظام بقرار من ديوان الأوجاق والذي عوض بنظام الدايات، حيث يظل الداي في الحكم طوال حياته دون أن يكون له الحق في تعيين من يخلفه[1].

4-عهد الدايات[2] (1671-1830) : يمثل هذا العهد المرحلة الأخيرة من مراحل التواجد العثماني بالجزائر، ويعتبر نظام الدايات انتصارا لطائفة الرياس، كما يدل ذلك على اختيار الدايات الأربع الأولين من بين طائفة الرياس، ومن فترة 1671 إلى 1689 كان الدايات ينتخبون من طرف الرياس، ثم استرجع الأوجاق نفوذهم ، فأصبح الداي يختار من بين ضباط الانكشارية، وذلك بسبب الحملات الأوروبية على السواحل الجزائرية خلال عهد الدايات والتي ألحقت أضرارا كبيرة بالأسطول الجزائري و أضعفت مركز الرياس .

تميزت فترة الدايات بالخصائص التالية :

كان لفئة الرياس دورا بارزا في تأسيس حكم الدايات الذين عملوا على تقليص نفوذ الديوان ، وأصبحت سلطته شكلية ، و بدخول الجزائر عهد الدايات عرفت استقرارا سياسيا .

تعتبر فترة الدايات من أهم الفترات التي مرت بها الجزائر، حيث دامت مدة 159 سنة وهي تعادل نصف تاريخ التواجد العثماني بالجزائر،ويمكن أن نطلق على هذه المرحلة بمرحلة الاستقلال الحقيقي للجزائر عن الدولة العثمانية في تسيير شؤونها الداخلية و الخارجية .

حيث احتفظت تركيا لنفسها بسلطات شكلية في الجزائر تمثلت بصفة خاصة في الدعاء للسلطان العثماني في صلاة الجمعة و الاعتراف بمراسيم التعيين والتعاون في مجال الحروب، بحيث تقوم الجزائر بتقديم المساعدة العسكرية للبحرية التركية في حالة تعرض تركيا للاعتداء خارجي (كما حصل في معركة نافارين سنة 1827). وكذا في تقديم دايات الجزائر لهدايا أثناء المناسبات الدينية والسياسية، وبالتالي

[1]- عمار عمورة: المرجع السابق، ص 97.

[2]- الداي : كلمة تركية معناها الخال ثم استعملت بمعنى الحاكم والرئيس أطلقت في العهد العثماني على رتبة عسكرية حملتها طائفة من قادة القوات التي اشتركت في فتح شمال افريقيا وبعد استيلاء تلك الطائفة على الحكم في الجزائر، أصبح الدايات يقومون بعمل الولاة حتى الاحتلال الفرنسي، ينظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب، المرجع السابق، ص 175.

القاسم المشترك بين الدولتين دفع بالجزائر إلى الاعلان عن ولائها الروحي والتبعية الاسمية للدولة العثمانية وتحالفها معها كدولة .

محاولات الدولة العثمانية المتكررة التدخل في شؤون الدولة الجزائرية منأجل استرجاع سلطّتها ون فوذها السابق أيام حكم البايلربايات، والباشوات، وتأثير ذلك علىمركز الدايات، فحفزت القوى المعادية لها على التمرد و العصيان.

أصبح الداي ينتخب من طرف الديوان العالي (المجلس) الذي صار بمثابة برلمان في عصرنا الحالي، والسلطان العثماني لا يلعب أي دور في اختيار داي الجزائري و ينحصر دوره في إصدار مرسوم (أو فرمان) لتثبيت اختيار الديوان العالي بالجزائر، وفي حالة شغور المنصب فإن الديوان العالي هو الذي يختار خليفته بنفس الأسلوب السالف الذكر[1].

بحلول عام 1710 دخلت الجزائر مرحلة هامة في نظامها السياسي ، فأنهت عهد ثنائية الحكم ، برفضهم الباشاالمبعوث من طرف السلطان العثماني،حيث رفض الداي علي شاوشاستقبال" شرقان اب رايم باشا" ، كممثل للسلطان العثماني بالجزائر ،وبالتالي أصبح الداي يجمع بين المنصبين (الباشا و الداي) ، و هي مرحلة الاستقلال الفعلي عن الدولة العثمانية وأكثر من هذا قاوم الدايات حتى وساطة الباب العالي في المشاكل الداخلية و الخارجية للجزائر، ولم يعد بذلك السلطان العثماني أي نفوذ فيها.

يعين الداي في منصبه مدى الحياة، حيث كان هو المسؤول العسكري والسياسي للبلاد، والقاضي الأعلى في أمور الحرب والسلم و المسؤول على الضرائب وعلى التوظيف ، أي له صلاحيات غير محدودة فقد كان القتل هو الوسيلة للحد من صلاحياته

أصبحت الدولة الجزائرية في عهد الدايات تتمتع بحرية العمل في المجال السياسي وشيدت جيشا قويا وعندها ميزانية مستقلة لا تقل أهمية عن ميزانية الدول القوية في تلك الفترة، كما كان الداي يعقد المعاهدات (سلم و تجارة) باسم الجزائر ويبعث بقناصل الجزائر إلى الدول الكبرى ويوافق على اعتماد القناصل في الجزائر بدون مشاورة تركيا، ويعلن الحرب، ويستعمل العملة الخاصة بالجزائر، وهذه العوامل كلها تبين استقلالية القرار الجزائري.

إن نفوذ الجيش البحري (الرياس) و الدايات لم يخدم الأهالي ولم يستجب لمطالبهم، حيث بقي أبناء الجزائر مهمشين ولم تكن لهم مشاركة حقيقية في قيادة البلاد .

[1]-عمار عمورة: المرجع السابق، ص 100.

توجه القوات العسكرية والسياسية لخدمة مصالحهم، حيث تحول الرياس من جنود مناضلين ومقاتلين ضد القوات المسيحية المعادية للإسلام إلى رجال يبحثون عن الغنائم لأنفسهم و للحكام، وبالمثل اهتم حكام الجزائر الدايات بجمع الثروة من العمليات الحربية، ولم يهتموا بتطور الدخل من الثروة الفلاحية وتوفير الغذاء للسكان[1].

أما فيما يخص أهم الأحداث التي عرفتها فترة الدايات فنوجزها في النقاط التالية:

تمكن حكام الجزائر في هذه المرحلة الأخيرة من القضاء نهائيا على الوجود الاسباني في الجزائر وبالتحديد في وهران و المرسى الكبير، وكان ذلك في سنة 1792، يذكر أن تحرير مدينة وهران من الاسبان تم على مرحلتين: حيث كان التحرير الأول عنوة عام 1708 على يد مصطفى أبو الشلاغم باي الايالة الوهرانية وصهره أوزن حسن، وفي عهد الداي محمد بقطاش باشا، وذلك بعد أن مكث فيها الاسبان مائتين وخمسة أعوام وعلى إثر هذا الانتصار نقلت عاصمة البايلك من معسكر إلى وهران ، ويسمى هذا الحدث بفتح وهران الأول،لكن الإسبان عادوا سنة 1732 واحتلوها مرة ثانية،إلى أن جاء عهدحسن باشا الذي شهد على يديه التحرير النهائي لمدينة وهران سنة1792.

من الأحداث المميزة لهذا العهد كثرة الغارّات الأوربية على سواحل البلاد برغبةالانتقام من قوة الجزائر البحرية خاصة من طرف : الإسبان، الإنجليز، والفرنسيين، حيث نظم الأميرال الفرنسي " دوكين " في عهد الداي بابا حسن و بالضبط يوم 12 جويلية 1682 حملة عسكرية قوامها ثلاثون سفينة حربية لمهاجمة شرشال ومدينة الجزائر، لكن هذه المحاولة باءت كغيرها من الفشل . و في عام 1684 أبرمت الجزائر معاهدة سلم مع فرنسا لمدة مائة سنة، لكنها نقضت عام 1776 بسبب نشوب معركة بين السفن الفرنسية و الجزائرية، ومرة أخرى تم الصلح بين الطرفين [2].

وفي عهد محمد عثمان باشا خاضت الجزائر حربا ضد الدنمارك وبالتحديد عام 1770، حيث قنبلت الميناء الجزائري، لكن الجيش البحري الجزائري كان أقوى منها بكثير فتغلب عليها وأجبرها على التفاوض.

وفي عام 1770 شنت القوات الاسبانية حملة عسكرية ضد الجزائر بأمر من الملك شارل الثالث وبقيادة (Don Pédro)، ولم تكد تنزل القوات الاسبانية على أرض الجزائر حتى تصدت لها قواتصالح باي قسنطينة وألحقت بهم شر الهزيمة. من بعدها حاول الملك شارل الثالث مصالحة الجزائريين لكن الداي محمد

[1]- عمار عمورة: المرجع السابق، ص 101.

[2]- نفسه: ص 102.

عثمان باشا رفض لعدم ثقته في الاسبان، فكرر الاسبان هجماتهم عام 1784 على الجزائر بقيادة (Don Antonio) لكن كالعادة القوات البحرية الجزائرية أجبرتهم على الانسحاب. وبعد ذلك قبلت الجزائر الصلح مع الاسبان على شرط جلاء الحامية الاسبانية من وهران و المرسى الكبير، فقبل الاسبان هذا الشرط، لكن لم ينفذ فعليا إلا في عهد الداي حسن باشا أي في سنة 1792[1].

5-الادارة العثمانية في الجزائر:

لقد كانت البلاد تدار بواسطة الأجهزة التالية:

1-الوالي أو الحاكم العام الذي اختلف لقبه حسب أطوار الحكم العثماني بالجزائر: " البايلرباي ثم الباشا ثم الآغا ثم الداي.

2-الديوان الخاص: ويدعى المجلس الشوري أو الخاص ومن أهم أعضائه

الخزناجي: وهو المسؤول عن الأمور المالية أو المكلف بأموال الخزينة العامة للحكومة.

وكيل الخرج أو ناظر البحرية ويختص بالشؤون البحرية.

خوجة الخيل: مسؤول عن أملاك الدولة التي ترد إليها.

الآغا: مسؤول عن قوات الحكومة البحرية المحافظة على الأمن كما يقوم بمهام باي المدينة.

2-مجلس الديوان العمومي ومن أهم أعضائه:

الخليفة: ينوب الوالي عند غيابه وفي جباية المال.[2]

الدفتر دار: يتولى رئاسة ديوان الانشاء وكتابة الدولة.

الباش سيار: يتولى شؤون البريد

قبودان رايس: القبطان رايس، يتولى امارة البحر.

الترجمان.

بيت المالجي: يتصرف في أموال بيت المال.

شاوش الكرسي.

---

[1]- عمار عمورة: المرجع السابق، ص 103.

[2]- محمود علي عامر: تاريخ المغرب العربي الحديث " الجزائر، تونس"، ط2، منشورات جامعة دمشق، 2000، ص 87- 90، يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسيطة،ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص ص 308-309.

الكاهية: يتكلف بحفظ أمن مدينة الجزائر.[1]

المحاضرة السادسة: تطور نظام الحكم في المغرب الأقصى:

1-عوامل سقوط الدولة الوطاسية:

1-كان الغزو الأجنبي أعظم خطر هدد الوطاسيين منذ نشأة دولتهم لأن البرتغال على الخصوص فتحوا عدة واجهات حربية بالمغرب في أوقات متقاربة وكانوا أعظم تسلحا وتنظيما، وهدد الاسبان بدورهم شمال المغرب، لأنهم احتلوا مليلية منذ عام 1496م.

2-احتفظت عدة مراكز باستقلال ذاتي كمراكش وتطوان وشفشاون التي احتفظت بإدارة كل منها عائلة معينة يتوارث أفرادها رئاستها، ولم يكن هذا الاستقلال الذاتي بطبيعة الحال مما يحفظ للدولة هيبتها ويسهل مهمتها الحربية والإدارية.

3-اشتداد نفوذ الصلحاء بشكل لم يعرف له مثيل من قبل وفزع الناس إليهم بعد أن لمسوا ضعف الدولة وعجزها عن حماية الأراضي المغربية من الاعتداء الأجنبي

4-قيام الدولة السعدية وصراعها مع الوطاسيين وبالتالي شغلوهم عن صد الخطر الأجنبي طيلة عقود من الزمن.[2]

5-سياسة الوطاسيين المرنة ضد المتمردين على الدولة وعلى الخصوم والمتمردين بسبب دافع الوطنية.

6-عدم تطوير الوطاسيين للأسلحة والفنون والخطط العسكرية إضافة إلى افتقارهم إلى الجيش المنظم والكافي من حيث العدد.

---

[1]- محمود علي عامر: تاريخ المغرب العربي الحديث " الجزائر، تونس"...المرجع السابق، ص ص 93-98، يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسيطة،ج2.... المرجع السابق، ص 308-309.

[2]- إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ " من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين"، ج2، نشر وتوزيع دار الرشاد الحديثة، 2000، ص 176- عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم " عهد بني مرين والوطاسيين"، م7، 1988، ص ص 231- 243- 269، عبد الكريم كريم: المغرب في عهد الدولة السعدية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، 1978، ص 82.

عجز الوطاسيون عن توحيد المغرب سياسيا فكانت الكثير من المراكز خارجة عن نفوذهم فنجد على سبيل المثال: مدينة مليلية وغساسة سقطت بيد الاسبان، ونفس الشيء لمدن " سبتة، طنجة، أصيلا، القصر الصغير، آسفي، أغادير، ماسة ... والتي كانت بيد البرتغال"، أما شفشاون كانت بيد بني راشد، بينما مراكش بيد هنتاتة، بالإضافة إلى مراكز ثورية بيد أشخاص مختلفين وأخيرا فإن منطقة السوس خضعت لنفوذ السعديين منذ أبي عبد الله البرتغالي، أما عموم منطقة الريف وسهول المحيط وجبال الأطلس والنواحي الشرقية والجنوبية الشرقية فقد كان نفوذ الوطاسيين فيها قويا بوجه عام كما أن بعض المراكز المستقلة كشفشاون وتطوان فقد كانت تتعاون تعاون وثيق مع السعديين بحكم المصارة الذي ربط ملوكم بهذه المراكز.[1]

2-الدولة السعدية:" 1509 – 1695م"

أ-الأوضاع العامة قبل قيام السعديين:

في القارة الأوربية: صادف ظهور السعديين ومدة حكمهم حدوث تغييرات عظيمة في سير الأحداث بأوربا ففي هذا العصر بدأت نية فرنسا تتجه إلى إصلاح جهازها العسكري والإداري وازدهت الحياة الأدبية بهذه البلاد حتى سمي هذا العصر بالنسبة إليها عصر النهضة، كما تم طرد المسلمين نهائيا من اسبانيا في أول نشأة الدولة السعدية بسوس، وانفصلت البرتغال عن المملكة الاسبانية بينما الصراع كان على أشده بين إنجلترا واسبانيا في أمريكا من أجل النفوذ السياسي والاقتصادي، كما كانت هذه الفترة عهد اصطدام بين البروتيستانية والكاثوليكية في عدة دول كإنجلترا وفرنسا واسبانيا وألمانيا.

العالم الإسلامي: استمرت الفتوحات العثمانية في فتوحاتها وتوسعها السياسي وكان من ملوكها شخصيات بارزة كالسلطان " سليم الأول " الذي قهر جميع أدعياء العرش من إخوته، كما قام بفتح " تبريز " عاصمة الصفويين وقضى أيضا على السلطان الغوري ملك مصر والشام وضم مملكته إلى ملكه، أما ولده سليمان القانوني فقد استولى على المجر ورودس، وقهر جيوش النمسا وألمانيا والصرب وتمكن من القضاء على الحفصيين بتونس عام 983هـ / 1574م وفي هذه الفترة خضع العالم الإسلامي

[1]- إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص 177.

تقريبا للحكم العثماني المباشر أما المغرب فلم يشذ هو أيضا عن التقرب إليهم حتى ولو ظل متمسكا باستقلاله السياسي. [1]

ب–السعديون أو الحسنيون وموطنهم الأصلي:

قيل أنهم من بني سعد بن بكر بن هوزان الذين تنتمي اليهم حليمة السعدية مربية الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقيل أنهم لقبوا بالسعديين لأنهم سعدوا بدولتهم وقيل أيضا أنهم من ولد النفس الزكية وبالتالي هم أبناء عم العلويين يجتمعون في محمد بن القاسم بن محمد.

قدم السعديون إلى المغرب في أوائل القرن الثامن الهجري في عهد بني مرين بطلب من بعض سكان درعة الذين بدوا أنهم اتصلوا بهم وقت أداة مناسك الحج حتى يتيمنوا بوجودهم في استصلاح زروعهم وثمارهم وها استقروا قرب زكورة عند تاكمدارت.[2]

يعود أصل الأشراف السعديين إلى مدينة ينبع قدموا إلى المغرب في وقت يصعب تحديده ولأسباب غير واضحة ويقدر هنري تراس أن السعديين والعلويين قدموا إلى المغرب مع غرب معقل الذين بسطوا سيطرتهم على الواحات المغربية منذ أوائل عهد المرينيين، واستقر السعديين في وادي درعة في بداية القرن الرابع عشر في تاجمدارت في منطقة أغنى مناطق درعة بالسكان وظلوا حتى مطلع القرن 16م يعيشون حياة بسيطة كعلماء، وكان نسبهم يكسبهم شيئا من الاحترام.[3]

---

[1]– إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص 241.

[2]– محمد كمال شبانة: الدويلات الإسلامية في المغرب، ط1، دار العالم العربي، 2008، ص 89– أبو القاسم الزياني: البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف، مخطوط، ص ص 9–10.

[3]– محمد الصغير اليفريني: نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تقديم وتحقيق: عبد اللطيف الشاذلي، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1998ص 6– أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري، ج5–ج6، الدار البيضاء، المغرب، 1955م.

ج–عوامل تأسيس الدولة:

قامت الدولة السعدية قبل كل شيء على أساس ديني سياسي:

–السعديون أشراف فهم يرون أنهم أحق بالملك من بني وطاس الذين فشلوا كليا في ضم المغرب في وحدة سياسية متماسكة وهكذا لجأوا إلى اقناع الناس بشرف نسبهم حتى يبرروا أن قيام دولتهم "كان أساسا دينيا وأنهم ليسوا مجرد مغتصبين خلفوا مغتصبين آخرين".

– ازدياد الخطر الأجنبي على البلاد وتفاقمه بسبب تراخي وضعف المقاومة الشعبية وغياب سلطة فعلية حاكمة تصد ذلك.

–استيلاء الاسبان والبرتغاليين على معظم موانئ المغرب بسبب تشتت صفوف المقاومة الشعبية التي عجزت عن ذلك.[1]

د–أهم حكام الدولة السعدية:

محمد القائم " 915 – 923هـ / 1510م – 1517م": استقرت أسرة السعديين بنواحي درعة حتى ظهر من بينهم أبو عبد الله محمد القائم الذي تمت مبايعته سنة " 915هـ / 1510م بالسوس في قرية قرب تارودانت وكانت توليته باعتراف الشيوخ والقضاة والفقهاء المصامدة وهكذا تم تنصيب محمد القائم بمساعدة محمد بن مبارك تلميذ الامام الجزولي وكانت له سلطة روحية عظيمة على سكان السوس وله بأقا زاوية شهيرة.

أبو العباس أحمد الأعرج: " 923هـ / 946هـ / 1517 1539":

ولد أبو العباس أحمد الأعرج عام 891هـ / 1486م وبويع وليا للعهد عام 918هـ وكان اول عمل بادر به هو تعبئة الجيوش لجهاد النصارى فبدأ في أوساط عهده انسحاب البرتغاليين من الشواطئ المغربية وكان خروجهم من آسفي حوالي عام 933هـ / 1526م واحتفظوا ببعض المراكز الأخرى

[1]– إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص 243.

وقد دخل أبو العباس في نزاع مع أخيه محمد المهدي والذي تحول إلى حرب بينهما انتهت بانتصار محمد المهدي وخلع أبي العباس عام 946هـ / 1539م حيث أودع السجن مع أسرته.[1]

محمد الشيخ المهدي " 946 هـ / 964هـ – 1539م – 1556م":

ولد محمد المهدي عام 393هـ / 1488م وكان يعرف بالشيخ وقد حفظ القرآن الكريم وديوان المتنبي عن ظهر قلب وقد كان له ثلاث أولاد الذين تعاقبوا على الحكم وهم: عبد الله الغالب، وعبد الملك المعتصم وأحمد المنصور، وقد اتخذ محمد الشيخ مراكش عاصمة الدولة السعدية والتي ظلت إلى نهاية السعديين وقد فتح العديد من المدن منها " فاس عام 1549م، ثم مكناس... وقد قتل بتارودانت سنة 964هـ. / 1557م.

أبو محمد عبد الله الغالب " 964هـ – 981هـ / 1556م – 1573م"

ولد بتارودانت عام 933هـ وقد حفظ القرآن الكريم وعلوما مختلفة وعرف عنه قسوته مع عائلته وقد أدى به الأمر إلى قتل أخيه عثمان وقد أصيب الغالب بمرض الضيقة ودفن بمقبرة السعديين بمراكش.

أبو عبد الله محمد المتوكل: " 981هـ - 983هـ / 1573م – 1575م"

كان من أنبغ الخلفاء السعديين خاصة في الأدب والشعر وعرف بالمسلوخ لأن المنصور أمر بسلخ جلده وحشوه جلدا بعد موته واشتهر بالقسوة مثل المهدي والغالب ولكنه لم يهنأ بالملك طويلا.[2]

أحمد المنصور الذهبي: " 986هـ – 1012هـ / 1578 – 1603م "

ولد بفاس عام 956هـ بويع بوادي المخازن غداة الموقعة وقد عرف بالحزم وتتبعه لأخبار رعيته وقد أسس مجلسا للشرى كان يجتمع يوم الأربعاء وكان يسميه " الديوان " وهو أول من استعمل المنصورية في لباسه ثم شاع استعمالها بين الفقهاء والوجهاء وكانت له علاقات طيبة مع عدة دول وقد فتح عدة مناطق منها بلاد السودان عام 999هـ / 1591م بسبب دافع التوسع الذي كان يراوده إضافة إلى

[1]- محمود علي عامر، محمد خير فارس: تاريخ المغرب العربي الحديث، " المغرب الأقصى- ليبيا"، ص ص 35- 40

[2]- اليفريني: المصدر السابق، ص ص 38- 49، إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص ص 253- 256.

توفر المنطقة على معادن الذهب زيادة إلى عدم توفر السودان على قوة عسكرية حديثة التنظيم والتسليح ، ومن أعماله إنشاؤه قصر البديع في مراكش، إقامة بعض الحصون في بعض المواطن وفي فاس خاصة، تقوية الجيش والأسطول الذي تمتع بالحصانة والقوة لصد الغارات البحرية الاسبانية والبرتغالية ، وقيل ان المنصور مات مسموما ودفن بفاس الجديد بعد أن قضى 26 سنة في الحكم.[1]

زيدان بن منصور " 1012هـ – 1037هـ / 1603م – 1627م "

كان من أذكى أبناء المنصور وقد وصف بالشدة والعنف كما عرف بالثقافة العامة وقد تخصص في العلوم الدينية لكنه لم يهنأ بالملك كول فترة حكمه بسبب تكاثر الثوار المطالبون بالعرش من كل جانب كما بدأت الحملات البرتغالية على المغرب وعلى الرغم من أنه أظهر كثيرا من الحزم في محاربة الثوار فقد كان ضحية سياسة والده الفاشلة فيما يتعلق بتوزيع المملكة بين أنجاله الذين لم يتعاونوا معه فضاعت جهوده في سبيل تحقيق الوحدة الوطنية وقد قامت في عهده عدة ثورات منها " ثورة أبي فارس عام 1012هـ، ثورة محمد الشيخ 1015هـ – 1022، ثورة ابن أبي محلي 1022- 1613م، ثورات فاس 1020- 1033/ 1611- 1623م، ثورة سوس " توفي زيدان في مطلع 1037/ 1627م ودفن بمقبرة مراكش[2].

أبو مروان عبد الملك بن زيدان " 1037– 1040 / 1627 – 1630 " بويع عبد الملك بعد وفاة والده زيدان بمراكش وقد ثار عليه أخواه أحمد والوليد أما الأول فقد اعتقله عبد الملك في سجن فاس أما الوليد فقد استعان بقواد الجيش وحاول الاستيلاء على الملك بالقوة ثم عمد إلى اغتيال أخيه عبد الملك وقد كان الأخير سكيرا وقد تم دفنه بمراكش.

[1]- ابراهيم حركات: المرجع السابق، ص ص 262 – 272، محمود علي عامر، محمد خير فارس: المرجع السابق، ص ص 55 – 72.

[2]- نفسه: ص ص 277- 281، محمود علي عامر، محمد خير فارس: المرجع السابق، ص ص 72- 76.

الوليد بن زيدان " 1040هـ – 1045هـ / 1630– 1635م ":

لم يكن الوليد بأحسن سيرة من أحسن من أخيه عبد الملك فقد بطش بعدد كبير من أفراد أسرته وقد اعتقل أخاه محمد الشيخ الأصغر خوفا من أن يثور عليه وكان الوليد مولعا بسماع الأغاني وسخيا ولكنه قليل الاهتمام بالرعية سكيرا كسلفه وقد اغتاله العلوج من جيشه بعد أن رفض تأدية رواتبهم وقيل انه قتل 15 من إخوته وأبنائهم وأبناء أعمامه.[1]

محمد الشيخ بن زيدان " 1045هـ – 1064هـ / 1635م – 1653م": كان سجينا بمراكش أيام أخيه الوليد فأطلق سراحه وتم مبايعته بعد الوليد وعرفت فترة حكمه توسع الدلائيون الذين استلوا على فاس واستفحل أمرهم أما حركة العياشي فشملت سلا والغرب وبدأ العلويون يتحفزون لنشر دعوتهم، بينما المناطق بين الأطلس وآسفي وأزمور ومراكش بقيت تحت حكمه توفي بمراكش ودفن بمقبرة السعديين.

العباس بن محمد الشيخ الأصغر: " 1064هـ – 1069هـ / 1653– 1658" : هو آخر ملوك السعديين ولم يلبث طويلا في الملك بعد تنصيبه تمت محاصرته مدة طويلة بمراكش ثم قتل بعد ذلك من طرف أخواله من الشبانات الذين طمعوا في تحويل الحكم إليهم فاستولى عبد الكريم الشباني مدة 11 سنة ولكن تم اغتياله ثم خلفه ولده أبو بكر الذي انتهى أمره على يد رشيد العلوي.[2]

هـ–معركة وادي المخازن أو " الملوك الثلاثة " أو " القصر الكبير " 04 أوت 1578

حدثت قرب القصر الكبير بشمال المغرب بين البرتغاليين والسلطان محمد المتوكل الذي انحاز إلى الاسبان نكاية في عمه السلطان الشرعي عبد الملك وتصادق مع فيليب الثاني ملك اسبانيا وعقد معاهدات مع كل من فرنسا وانجلترا.

[1]– إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص 282.

[2]– نفسه: ص ص 282– 283.

سير المعركة:

احتلال ملك البرتغال " دوق سباستيان " المغرب الأقصى بدافع ديني صليبي وقد جهز جيشا مكون من 20 ألف مقاتل غالبيتهم من البرتغاليين مدعمين من قوات وكتائب " اسبانيا، ألمانيا، إيطاليا" إضافة إلى بعض المغاربة من أنصار المتوكل.

نزول الجيش بطنجة دون مقاومة ثم زحف ناحية أصيلا، القصر الكبير والتقى النصارى بجيش عبد الملك المتكون من 52 ألف مقاتل وكان معظمهم من الفرسان بوادي المخازن[1]

نتائج المعركة:

-هزيمة جيش الدوق وحلفائه

-موت ملك البرتغال وحليفه المتوكل غرقا وموت السلطان عبد الملك بسبب المرض.

-انتصار جيش المغاربة والقضاء على معظم جيش النصارى.

- وقوع العديد من الأسرى النصارى في يد جيش المغاربة.

-ذاع صيت الدولة السعدية على الصعيد الداخلي والخارجي. [2]

و-إنجازات الدولة السعدية:

-وقف السعديون في وجه الخطر الأجنبي الصليبي وصد غاراتهم وأفضل المعارك التي خاضوها هي موقعة " وادي المخازن ".

- تجهيز السعديين للجيش بأحدث الأسلحة في ذلك العصر باتخاذهم الجيوش النظامية وحرصوا على تدريبها أحسن تدريب.

[1]- محمود علي عامر، محمد خير فارس: المرجع السابق، ص ص 52- 53.

[2]- نفسه: ص ص 54-55، ابراهيم حركات: المرجع السابق، ص ص 258- 261.

– تحلي السعديين بالذكاء من خلال علاقات الديبلوماسية وذلك بفتح الموانئ للتجارة الأجنبية واقتيادهم لآلاف الأسرى وترد المبعوثين المغاربة على تركيا والشرق الإسلامي، هولندا، إنجلترا، البرتغال، وغيرها.

– الطموح السياسي العالي لدى الحكام السعديون الأوائل من خلال زيادة النفوذ في الجزائر وأواسط إفريقيا وقد اكتسبوا الهيبة في الخارج.

– اقتياس السعديين لعادات وأنظمة جديدة سواء عن الأتراك وغيرهم خاصة " في الزي والاستقبالات والحفلات والتنظيم العسكري، وبلوغ التجارة الخارجية الرواج وزيادة نشاط الحركة الصناعية، زيادة على تشجيع الثقافة والمعرفة والعلم.[1]

ي–سقوط الدولة:

أسباب وعوامل سقوطها:

1–مشاكل العرش: وقد تمثل ذلك في الصراع على السلطة خاصة بعد المتوكل الذي أحدث مشكلة وراثة الحكم ونفس الشيء للمنصور الذي ولى أسوأ أبنائه لأن الحكام الأوائل اهتموا بوضع الأسس الحقيقية للدولة.

2–الاعتماد على العلوج في الجيش: حيث أوكلت القيادة العسكرية للعلوج كالمملوك عجيب وجؤذر وغيرهم إضافة إلى تواجد عناصر مسيحية كثيرة من عدة أجناس "كالاتراك والمرتزقة" بسبب فقدان الثقة في العناصر الوطنية، وقد لقي العديد من الحكام حتفهم على يدهم مثل " محمد المهدي، عبد الملك بن زيدان، الوليد بن زيدان..."

3–الدسائس والمؤامرات وإحباط كل الخطط من طرف الأتراك " وقد كان هدفهم الإبقاء على عدم تقوية الدولة وتركيز دعائمها وقاموا بتسميم عبد الملك المعتصم والاتصال سرا بالأتراك وقتل المهدي الشيخ.

[1]- ابراهيم حركات: المرجع السابق، ص 299.

4-التدخل الأجنبي: كان للتدخل الأجنبي عامل ساعد على قيام الدولة كما كان عاملا أيضا في سقوطها المتمثل في الاحتلال البرتغالي والاسباني اللذان احتلا العديد من الموانئ والمدن المغربية إضافة إلى تعاون بعض الحكام مع الأعداء.

5-الحركات الاستقلالية: كانت الحركات الاستقلالية " العياشي، الدلائية، السملالية " وهذا نتيجة لضعف الملوك عن تسيير شؤون الدولة ومواجهة التدخل الأجنبي وقد أدت إلى إضعاف هيبة الدولة وحدت من مواردها ومزقت صفوفها، وقد حاولت تلك الحركات الوقوف في وجه النصارى والعمل على جمع شمل المسلمين ومحاولة إصلاح الأوضاع الاجتماعية بسبب فساء الأخلاق.

6-السياسة المالية: أكثر السعديون من الضرائب التي أثقلت كاهل الرعية وقد أدت هذه السياسة إلى نشوب العديد من الثورات الداخلية.[1]

الدولة العلوية: " الفلاليون أو السجلماسيون " 1640 – 1912 "

يعود نسب العلويين إلى الأشراف شانهم في ذلك شأن السعديين ويتصل عمود نسبهم بأبي القاسم محمد الملقب بالنفس الزكية وبالمهدي بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي رضي الله عنه وفاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم [2]

أ-أهم حكام الدولة:

علي الشريف: لجأ المغاربة إلى الأشراف بمبادرة من الزاوية الجزولية لأن الوحدة المغربية أصيبت بالقطيعة والتمزق خلال النصف الأول من القرن 11/ 17م فبادر أهل سجلماسة إلى مناصرة أسرة الأشراف العلويين.

ولد عام 997هـ / 1587م وقد عرف بالتقوى والصلاح وفي عهده كانت سجلماسة تابعة لأبي حسون أمير سوس وسائر الجنوب المغربي إضافة إلى معانات سكان المنطقة من الضرائب الباهضة وقد قامت بينهما عدة معدة معارك بسبب تدخل أهل تبوعصامت بينهما أدى إلى الاقتتال الذي تواصل

[1]- ابراهيم حركات: المرجع السابق، ص ص 296-299.

[2]- اليفرني: المصدر السابق، ص 481.

في عهد محمد علي الشريف الذي عمل على سحق مقاومة أبي حسون وذلك بفضل تعاون السكان واستبسالهم إلى جانب محمد كما طرد جميع أنصار أبي حسون، كما عرف عن علي الشريف هو مجابهته للدلائيين وغيرهم.[1]

محمد بن الشريف وإقرار الوحدة: " 1050 – 1069هـ / 1640 – 1658م"

بويع بسجلماسة وقد كان له أخوان " الرشيد وإسماعيل" وعرف عنه القوة البدنية والشجاعة وقد خاض أنصار العلويين حربا ضروسا ضد أنصار أبي حسون في درعة إلى أن تمكنوا من إجلائهم عنها

وفي عام 1059هـ / 1049م تلقى محمد بيعة أهل فاس لأنهم ضاقوا بحكم الدلائيين، إلى أن استولى على المراكز التي تقع في الطريق الصحراوي شرقا إلى انكاد ثم اقتحم وجدة والمغرب و المغرب الأوسط، وقد خاض محمد حروبا مع أخيه رشيد انتهت بمقتل محمد بدار ابن مشعل ثم نقل إلى بني يزناسن.[2]

رشيد بن الشريف: " 1075هـ – 1082هـ / 1664 – 1672": قيل بأنه اتصف بالقسوة والغلظة وقد كان صارما تجاه حركات التمرد غير الشعبية ففي أقل من سبع سنوات حقق الوحدة ما لم يحققه أي حاكم مغربي في التاريخ لم تقبل سجلماسة بيعة رشيد بل قامت بتنصيب ابن أخيه محمد الصغير بن محمد الذي دخل في حرب مع عمه رشيد إلى غاية القاء القبض على محمد الصغير حينها تلقى رشيد بيعة المغرب الشرقي ثم اتجه إلى فتح القسم الشمالي من المغرب وكانت البداية من مدينة

---

[1]– الضعيف محمد بن عبد السلام الرباطي: تاريخ الضعيف "تاريخ الدولة السعيدة "، تحقيق أحمد العماري، ط1، دار المأثورات، الرباط، 1986، ص ص 2-4.

[2]– أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، ج7، تحقيق: محمد وجعفر الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997، ص 15 – أحمد بن محمد العلوي المدغري: الانوار الحسنية في نسبة من سجلماسة من الأشراف المحمدية، تحقيق: عبد الكريم الفيلالي، الطبعة الأولى، مطبعة فضالة، منشورات وزارة الأنباء، المحمدية، 1966، ص 76.محمد الصغير اليفريني: نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تقديم وتحقيق: عبد اللطيف الشاذلي، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1998، ص 425، محمد بن الطيب القادري: الدرر السني في بعض من بفاس من أهل النسب الحسني، المطبعة الحجرية، فاس، 1891، ص 163، محمد بن الطيب القادري: نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تح: محمد حجي واحمد التوفيق: ج1،ج2،ج3،ج4، ط1، مكتبة الطالب، الرباط، 1982، ص 90- كلة نصيرة: المغرب الأقصى في عهد الدولة العلوية في كتاب " الاستقصا " للناصري، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، تلمسان، 2019.

تازا، وقد حقق الحاكم رشيد انتصارات في الشمال والجنوب الغربي ولم يبق له إلا طنجة والمراكز التي يحتها الاسبان ومدينة الجديدة التي احتلها البرتغال، توفي رشيد في 9 أفريل 1672 بسبب غصن أصابه في رأسه وعمره 42 سنة.[1]

إسماعيل بن الشريف: " 1082هـ – 1139ى فاس هـ / 1672م – 1717": بويع وهو بمكناس وقد مارس المسؤولية السياسية كنائب عن الحاكم رشيد بفاس أو مراكش أو مكناس، لم يكن على سعة من العلم كأسلافه عرف عنه الصرامة وعدم التسامح تجاه الذين يعملون على تكدير النظام وأمن السكان وقتل وهو خليفة بفاس 60 شخصا وصلبهم على أحد الأبراج بسبب قطعهم للطريق وفي عهده قامت الكثير من ثورات الأقاليم والأمراء " سواء في فاس أو مراكش وسوس ودرعة والصحراء وغيرها "، كما قام بفتح العديد من المناطق وتحريرها مثل " طنجة عام 1095هـ / 1684م من يد الانجليز ، المهدية عام 1092هـ / 1681م من يد الاسبان، والعرائش عام 1101هـ / 1689م من الاسبان ، وأصيلا عام 1102هـ / 1691م من الاسبان كما أراد في محاولات لفتح سبتة ومليلية ووهران واعتبر عهده العصر الذهبي للدولة العلوية. [2]

ثم جاء حكام آخرون وهم :

أحمد الذهبي " 1139- 1727م – 1728م.

-عبد الملك بن إسماعيل " 1140هـ – 1728م.

- أحمد الذهبي ثانيا: 1140هـ – 1141هـ / 1728م – 1729م.

- عبد الله بن إسماعيل " 1141هـ – 1171هـ /1729- 1757م".

---

[1]- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المصدر السابق، ج7، ص ص 32- 33، نقلا عن أبو القاسم الزياني: البستان الظريف في دولة أولاد مولاي علي الشريف، دراسة وتحقيق: رشيدة الزاوية، الطبعة الأولى، وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، 1992، ص 107، ابراهيم حركات: المرجع السابق، ج3، ص ص 24- 31.

[2]- ابراهيم حركات: المرجع السابق، ص ص 32- 62، محمد الصغير اليفريني: المصدر السابق، ص 60- أبو العباس الناصري: المصدر السابق، ص 45 ، أحمد بن محمد العلوي المدغري: المصدر السابق، ص 80- الضعيف محمد بن عبد السلام الرباطي: المصدر السابق، ص 58- أبو القاسم الزياني: المصدر السابق، ص 107.

- مولاي علي الأعرج بن إسماعيل " 1147 – 1149 / 1735- 1736م "

- عبد الله بن إسماعيل ثانيا " 1150 – 1736م ".

- محمد بن إسماعيل المعروف بابن عربية 1150 – 1151هـ / 1736م – 1738م.

- محمد بن عبد الله " 1171هـ – 1204هـ / 1757م – 1790م".

- اليزيد بن عبد الله " 1204- 1238هـ / 1790م – 1822م".

-سليمان بن محمد بن عبد الله " 1206- 1238هـ / 1792- 1822".

- عبد الرحمن " 1238 هـ – 1290هـ / 1822م – 1873م ".

- محمد الرابع 1276هـ / 1859م.

- الحسن بن محمد بن عبد الرحمن " 1290 – 1325هـ / 1873 – 1907م ".

- عبد الحفيظ 1325 هـ – 1331هـ / 1907 – 1912م.[1]

المحاضرة السابعة: تطور نظام الحكم في تونس

1-فترة الباشوات : 1574- 1594:

ظهرت الدولة العثمانية في شمال افريقيا كقوة ضاربة وعظم شانها حيث صار لها أسطول ضخم يغلب أقوى الأساطيل الأوربية خاصة بعد انضمام خير الدين بربروس وعروج وهما من امراء البحر الين ساهموا أعظم مساهمة في رفع شأن القوة البحرية العثمانية.[2]

[1]- الضعيف محمد بن عبد السلام الرباطي: المصدر السابق، ص 159، أبو القاسم الزياني: المصدر السابق، ص 327، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المصدر السابق، ج7، ص 183، المشرفي محمد: الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية، دراسة وتحقيق: ادريس بوهليلة، ج1، ج2، ط1، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2005، ص 158، ابراهيم حركات: المرجع السابق، ص ص 63- 325.

[2]- محمود السيد: تاريخ دول المغرب العربي " ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا"، مؤسسة شباب الجامعة، 2000، الإسكندرية، ص 132.

استغاث الشمال الافريقي بالعثمانيين لنجدتهم من العدوان الأوربي المستمر على سواحلها.

فبعث الأمير الحفصي يستنجد بالعثمانيين عام 1570م ثم عاد يستنجد بالاسبان حين احس بالخوف من تبعيته للعثمانيين ، فعاد الإسبان إلى تونس وأعلنوا حمايتهم عليها ولما أدرك الأمير أحمد خطأ ما أقدم عليه انسحب من البلاد وسلم الحكم لأخيه محمد عام 980هـ / 1573م، وفي عهده اشتد غضب الاسبان وتعسفهم وظلمهم للأهالي وعادت تونس تطلب العون من العثمانيين فقدمت إلى تونس قوة عثمانية عام 981هـ/ 1574م يقودها سنان باشا الذي قام بابعاد الاسبان من البلاد وبعث بالأمير الحفصي إلى الاستانة وانتهت بذلك الدولة الحفصية التي حكمت على مدى ثلاثة قرون ونصف.

عمل سنان باشا على جعل تونس تابعة للسلطان العثماني مباشرة ونظم شؤونها الإدارية وصارت تونس تابعة للدولة العثمانية التي امتد سلطانها من مصر إلى الجزائر.[1]

ونظم سنان باشا الديوان لإدارة شؤون البلاد وخصص الرواتب ونظم الجباية وجعل عليها مشرف " الباي " فكان الباشا " الوالي" يقوم بحكم البلاد ومعه قوة من الأتراك يقودهم الأغا.

وبجانب هؤلاء رؤساء القرصان وبعض زعماء قبائل المخزن ويقومون بجباية الضرائب وقسم الجيش إلى 40 فرقة كل فرقة 100 محارب يرأسهم الداي، وهؤلاء هم رجال الديوان الذين يعاونون الباشا.[2]

2-فترة الدايات " 1594م – 1631م":

في عام 999هـ / 1591م اتمع الدايات وانتخبوا واحدا منهم جعلوه رئيسا للجند الأغا ثم أصبح هذا الأغا هو صاحب النفوذ الحقيقي في البلاد.

[1]- محد الهادي شريف: تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تعريب: محمد الشاوش، محمد عجينة، ط3، دار سراس للنشر، 1993، تونس، ص ص 71- 73، ينظر أيضا: حسن حسيني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، ط3، دار الكتب العربية الشرقية، ص ص 134- 136

[2]- نفسه: ص 73.

ثم تولى الأمر عثمان داي شؤون البلاد في عام 1007هـ/ 1599م واستبد بالأمر حتى عل الديوان مجرد أداة لتسجيل أوامره التي يصدرها ليوقعها حتى صار الباشا ممثلا للسلطان وليس له سلطة حقيقية.

وسن الداي عثمان القوانين التي ساعدت على نشر الأمن والنظام في البلاد، كما اعتمد عثمان على قبطان البحرية وعلى رئيس الفرقة الوطنية التي كلفها بجمع الضرائب ومراقبة أحوال القبائل، فازدهرت الحياة في تونس وفي عهد عثمان استقبلت البلاد التونسية آلاف الأندلسيين الذين فضلوا مغادرة بلادهم وهجرتها إلى بلاد الإسلام، على بقائهم تحت ذل الاسبان الذين أرغموا من بقى منهم إلى الدخول في دين النصارى قهرا واستبدادا.

رحب عثمان داي بهؤلاء المهاجرين الأندلسيين وأقطع القادمين منهم الأراضي وقدم لفقرائهم الأموال لمساعدتهم فامتلأت البلاد التونسية بهم في كل أنحائها فعمرت البلاد وانتشر العمران فظهرت المدن والقرى التي أقامها المهاجرون القادمون، كما أقاموا المزارع والمصانع حتى صارت نهضة عمت جميع الأرجاء.

توفي الداي عثمان عام 1019هـ/ 1611م وتولى بعده الداي يوسف الذي اتجه إلى تسوية الحدود مع الجزائر كما اهتم بالتعمير فانشأ جامعا ومدرسة، ونظم الأسواق للتجارة إلا انه توفي في عام 1040هـ/ 1631م. [1]

3-الأسرة المرادية: 1631هـ / 1702م:

تولى بعده مراد بك الذي حصل على حق تولية ابنه حموده من بعده، ونعمت تونس في عهد مراد بك وابنه حموده من بعده بالرخاء والرفاهية، فقد وضع حدا لسلطة القبائل العربية، وقضى على العصاة الخارجين على القانون تماما، فانتشر الأمن في البلاد وبنى جامع وصومعة أضافها إلى جامع الزيتونة وفي عام 1076هـ/ 1666م توفي حموده بن مراد بك وخلف ابنه مراد الذي تمكن من سحق

[1]- محمود السيد: المرجع السابق، ص ص 130- 131، ينظر أيضا حسن حسيني عبد الوهاب: المرجع السابق، ص ص 138- 144.

ثورة قامت بها الجند غير النظامية في طرابلس وشرع في بناء منشآت، وتوفي مراد بك بين حمود في عام 1086هـ/ 1676م ثم قامت الصراعات بين ولديه واخيه على السلطة الأمر الذي أدى إلى التدخل من جانب القوات الجزائرية وانتهى الأمر بخروج السلطة من جانب أسرة مراد بك حين قام الأغا إبراهيم قائد الفرسان بالتخلص من نسل عائلة حموده والاستيلاء على الحكم في عام 1114هـ/ 1702م.[1]

4-الأسرة الحسينية 1705م – 1957.

كان اتجاه الدولة العثمانية إلى شمال افريقيا يهدف إلى اكمال سلسلة الفتوحات العثمانية في المشرق العربي وإحكام الحلقة حول البحر المتوسط بالإضافة إلى مطاردة الأسطول الاسباني وفرسان القديس يوحنا من جزر البحر المتوسط " رودس ومالطة ".[2]

في عام 1574م صارت تونس ولاية عثمانية خاضعة للسلطان العثماني وطبق عليها نظام الحكم العثماني وكان إلى جانب الوالي الباشا والانكشارية ورؤساء البحر قوة أخرى لها مكانتها وهي سلطة الدايات والتي تغير اسمها عام 1705م إلى البايات.[3]

ومنذ عام 1612م إلى عام 1702م حكمت تونس أسرة البايات المرادية نسبة إلى مؤسسها مراد بك الذي حكم " 1612م – 1631م" وتلاه ابنه حمود الذي استطاع إقرار الأمور في تونس بالقضاء على ثورات القبائل العربية وصد هجمات فرسان القديس يوحنا على السواحل التونسية.

خلف حمود مراد الثاني الذي اشتهر بقسوته واستمر الصراع بين أبنائه على منصب الباي حتى انتهت الأسرة المرادية بقتل جميع أفرادها، واستغل زعيم الفرسان حسين بن علي الاضطرابات والفوضى حتى نادوا به بايا على تونس لحب الشعب له.[4]

---

[1]- محد الهادي شريف: المرجع السابق، ص ص 77- 81، للمزيد كذلك ينظر: محمد بن الخوجة: صفحات من تاريخ تونس: تح: حمادي الساحلي، الجيلاني بن الحاج يحي، ط1، دار الغرب الاسلامي، ص 48.

[2]- رأفت الشيخ: في تاريخ العرب الحديث، القاهرة، 1989، ص 75.

[3]- إحسان حقي: تونس العربية، بيروت، 1970، ص 25.

[4]- نقولا زيادة: تونس في عهد الحماية " 1881- 1934م"، القاهرة، 1963، ص 18.

تمكن حسين بن علي وهو أحد رؤساء الجند من الاستيلاء على الحكم عام 1705م بموافقة القادة والأهالي ومبايعة العلماء قبل أن يأتيه فرمان الولاية من استانبول وهكذا قامت الأسرة الحسينية التي توارثت الحكم في تونس، إذ لم تمض خمسة أعوام على وجود حسين بن علي في السلطة حتى اعلن عن نيته في توريث الحكم لأبناء أسرته، وقد استطاع حسين بن علي مؤسس الدولة أن يصلح شؤون البلاد ويقضي على نفوذ العصبيات المسلحة ويبسط هيبة الحكومة، واستعان لذلك بتكوين قوة حربية مجهزة تجهيزا حديثا، كما انتشر العمران في تونس وازدهرت الزراعة والصناعة والتجارة.[1]

وكان هؤلاء البايات يحكمون البلاد حكما مستقلا عن الدولة العثمانية، ولكنهم كانوا يعدون أنفسهم تابعين لها من الناحية الدينية، وقد تعاقب البايات على حكم البلاد فتحقق على يد بعضهم الكثير من الإصلاحات العمرانية والإدارية، كما حكم في هذه الفترة من تاريخها ثلاثة بايات هم أحمد باي " 1837م- 1855م"، محمد باي " 1855م- 1859م"، محمد الصادق باي " 1859م – 1883م".[2]

ويأتي على رأس البايات الذين تزعموا الحركة الإصلاحية الباي أحمد باشا الذي طبق الإصلاحات في تونس فانشأ مدرسة حربية واستقدم بعض الضباط الفرنسيين للتدريس فيها، وكذلك استقدم بعض الخبراء في الشؤون العسكرية والإدارية والعمرانية، كما أنه أنشأ جيشا قوامه 25 ألف رجل وأنشأ مصنعا للذخيرة ودارا لصناعة السفن وبنى أسطولا قويا اشترك مع الدولة العثمانية في حرب القرم، وكذلك شجع الباي على نشر العلم وإكرام العلماء وعمل على إلغاء الرق.[3]

زار الباي أحمد فرنسا وأعجب بمظاهر الحضارة بها، فأخذ بتقليد فرنسا في بناء القصور ووقعت البلاد في أزمة مالية بسبب الإصلاحات وسلب الأموال من قبل بعض المسؤولين، لذا فقد استسلم الباي لنفوذ الدول الأوربية التي تدخلت في شؤون تونس عن طريق القروض وإنشاء المدارس والكنائس

[1]- حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، القاهرة، 1953، ص 155.

[2]- الفاضل بن عاشور: الحركة الفكرية والأدبية في تونس، القاهرة، 1956م، ص 13.

[3]- صلاح العقاد: المغرب العربي الكبير، 1963، ص ص 156- 160.

الأجنبية، فقد تورط التونسيون في علاقاتهم المالية بالأجانب واستعانوا بالشركات الفرنسية والانجليزية والإيطالية في مشروعاتهم، وبهذا مهدوا الطريق أمام المستعمرين ليحققوا أطماعهم في البلاد.[1]

وكانت الأوضاع في تونس مشابهة تماما لأوضاع مصر في عهد الخديوي إسماعيل باشا بل كانت النتائج التي ترتبت عليها متماثلة في البلدان ومتقاربة زمنيا.

بعد الباي أحمد جاء محمد الصادق الذي خضع كلية للنفوذ الأجنبي وازدادت الامتيازات الفرنسية في تونس بصورة كبيرة وإن كانت هناك بعض المصالح الإيطالية فكلتا الدولتين كانت تطمع في الاستيلاء على تونس، واستمر الباي في اعترافه بالسيادة العثمانية والمساهمة معها في الحرب التركية الروسية عام 1877م، وفي عهده أصدر الباي محمد " دستور عهد الأمان" وفيه محاولة للتوفيق بين الاتجاه الإسلامي متمثلا في الشريعة الإسلامية وبين القوانين العصرية في البلاد الأوربية.[2]

هذا وقد نشط جامع الزيتونة في هذه الفترة وقام بدوره الثقافي إلى جانب المدارس والجوامع الأخرى والمكتبات العامة، وفي عام 1861م صدرت في تونس جريدة الرائد التونسية.

كما نشطت حركة الإصلاحات فأعيد تنظيم القضاء والإدارة والمجالس البلدية ومد السكك الحديدية التي تصل تونس بالجزائر وكذلك بداخل البلاد.[3]

جاء بعد محمد الصادق الباي محمود الذي حكم من 1864م إلى مجيء الاحتلال الفرنسي عام 1881م الذي اشتهر عهده بأزمة مالية أدت إلى تدخل انجليزي فرنسي في شؤون تونس الداخلية أفضى في النهاية إلى الاحتلال الفرنسي.[4]

---

[1]- نيقولا زيادة: المرجع السابق، ص ص 58- 94.

[2]- عثمان الكعاك: مراكز الثقافة في المغرب، القاهرة، 1958، ص ص 103-110.

[3]- جلال يحي: المغرب الكبير، القاهرة، 1966، ص ص 700-705

[4]- زاهر رياض: شمال افريقيا في العصر الحديث، القاهرة، 1966، ص 183.

وقد كان هذا التدخل الأجنبي في شؤون تونس بالإضافة إلى الامتيازات الأخرى التي منحها البايات للدول الأجنبية " فرنسا، إنجلترا، إيطاليا" الصخرة التي تحكم عليها استقلال تونس وضاعت ثمرات الإصلاح.

كانت فرنسا بعد احتلالها للجزائر تترقب الفرصة المناسبة لاحتلال تونس، كما كانت إنجلترا تحرص على أن تحصل على مركز ممتاز في تونس يحول دون تقوية النفوذ الفرنسي أو انفراد فرنسا بالتدخل في شؤون تونس.

وقد حصلت بريطانيا على امتيازات تجارية كما كانت بريطانيا حريصة على ابراز تبعية باي تونس للسلطان العثماني، أما إيطاليا فكانت تطمع في الاستيلاء على تونس التي يعتبرونها امتدادا طبيعيا لصقلية، وقد استطاعت فرنسا بالديبلوماسية الذكية أن تقنع الدول الأوربية برغبتها في احتلال تونس ونجحت في مسعاها.[1]

وهكذا استطاعت فرنسا أن تحتل تونس متذرعة بعبور قبيلة خمير التونسية الأراضي الجزائرية وتم احتلال تونس في 29 أفريل 1881م وعرض السفير الفرنسي على الباي نسخة من معاهدة باردو وأمهله خمس ساعات للتوقيع عليها، وتم ذلك بالفعل ولم تبد الدول الأوربية أية معارضة لأن موقفها كان متماشيا مع مصالحها وسياستها الاستعمارية، اما الشعب التونسي فقد ثار ضد المعاهدات فأرسلت فرنسا قوات كثيرة بلغ عددها 45.000 جندي بمعداتها الكاملة للقضاء على الثورة وإعادة احتلال البلاد، وفي جوان 1883 وقع الباي علي الذي خلف الباي محمد الصادق بعد وفاته معاهدة المرسى التي منحت لفرنسا السلطة الكاملة في تونس.[2]

وأصبحت فرنسا بمقتضى معاهد المرسى تشرف على الشؤون الخارجية لتونس بالإضافة إلى اشرافها على الشؤون الداخلية عن طريق المديرين الفرنسيين الذين أصبحت لهم اختصاصات الوزراء، وبدأت فرنسا تعدل في نظام الحكم والإدارة في تونس بما يحقق مصالحها ومصالح رعاياها.[3]

---

[1]- شوقي الجمل: تاريخ كشف افريقيا واستعمارها، القاهرة، 1980، ص ص 482- 485.

[2]- نيقولا زيادة: المرجع السابق، ص ص 240- 241.

[3]- كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الاسلامية، ص 729، نيقولا زيادة: المرجع السابق، ص ص 242- 243.

المحاضرة الثامنة: تطور نظام الحكم في طرابلس الغرب " ليبيا"

اعتاد غالبية المؤرخين على تقسيم الإدارة العثمانية " طرابلس الغرب " أو ليبيا إلى عدة مراحل :

- عهد البكلربكي " أمير الأمراء " 1551- 1606م

-عهد الدايات " 1606- 1711"

- عهد الأسرة القرمانلية " 1711م – 1830م"

- عهد الباشوات 1835 – 1911[1]

1- العهد العثماني الأول: عهد البكلربكي[2] " أمير الأمراء " 1551- 1606م: تميز في ولايات الدولة عامة وولايات الشمال الافريقي خاصة بالهدوء والاستقرار ففيه حققت الدولة العثمانية أقصى توسعاتها وأبهر انتصاراتها ومنه كسبت سطوتها وشهرتها، لكونه اتصف بوجود أشخاص أقوياء استطاعوا فرض الهيبة والنفوذ الإداري على الانكشارية وتمكنوا من ضبطها والزامها بالطاعة، ولم تكن فترة هذا العد على الدرجة نفسها من القوة والمقدرة في ضبط الأمور وغدارة الولاية إدارة جيدة إلا أن هذا العهد في مناطق الشمال الافريقي بمناطقه الثلاث حققت بعض سماتها الإدارية والعسكرية بفضل الولاة الذين أخلصوا لمركزهم وللسلطان العثماني ودولته وبعضهم الاخر إلى لقبه وخان سلطانه وخالف معتقده.

وقد كان غالبيتهم من رجال البحر والقسم الآخر من المهتدين، وبموت رجال البحر فقدت الولاية والهدوء وشعر الأهالي بالظلم وفوضى الإنكشارية ومساهمتهم في افساد الإدارة واضطراب حبل الأمن

---

[1]- محمود علي عامر، محمد خير فارس: المرجع السابق، ص 166.

[2]- بكلربكي: وتعني أمير الأمراء او بك البكوات، وكان حاملها يعد الشخصية الثانية في الدولة العثمانية بعد السلطان، لأنه يتحمل الأعباء العسكرية وكان الغازي أورخان قد منح اللقب لابنه سليمان باشا، وبعد وفاته منح إلى لا لا شاهين باشا وفي عهد السلطان مراد منح اللقب إلى الوزير خليل باشا، لكنه انتقص من مهمته هذه بعض المهمات العسكرية، وبعد توسع الأتراك في الروميلي وزعت هذه المهمة بين شخصين بعدما قسمت ممتلكات الدولة العثمانية آنذاك إلى بكلربكية الاناضول وبكلربكية الروميلي وتذكر المصادر العثمانية أن هذا اللقب اقتبس من السلاجقة وفي عهد السلطان محمد الفاتح غدا منصب الدفترداري مساويا لأمير الأمراء ومن بعد ذلك تعددت مناصب أمير الامراء وحملها أشخاص من خارج العائلة الحاكمة وأرسل حاملوها إلى الولايات على أنهم ولاة وقادة عساكر، وتمتعوا بامتيازات كاملة في ولاياتهم للمزيد أكثر ينظر: Midhat Sertoglu,Resmli Osmanli Tarihi,Istanbul,1958,p p 39-40.

فاضطر الشبان إلى هجرة الولاية والعمل خارج البلاد وقد حاول الإنكشارية أن يخضعوا الرياس أيضا فشب الصراع بينهما وقد تحمل الأهالي نتائجه السلبية والسيئة.

ويمكن القول أن وفاة قلج علي عام 1574 هي نقطة انتهاء عصر أمير الأمراء وجاء فشل الدولة العثمانية في اسقاط مالطة عام 1565م ليؤكد نهاية عصر القوة وانتهاء السيطرة البحرية العثمانية وبدء صراع الجند في ليبيا استمر أكثر من قرن ونصف قرن من الزمن وانتهى فيها إلى جانب الولايات الأخرى بروز النفوذ المحلي الذي تزامن مع بروز الثورة الصناعية مطلع القرن18م.[1]

حكم ليبيا بعد طرد الفرسان مراد آغا " 1551- 1555م" وقد كلف بطرد الفرسان حيث اتخذ تاجوراء مركزا لشن الهجمات ضدهم وظل حتى تحررت الولاية من سيطرتهم، وقد كان الريس طرغوت أول المطالبين بتحريرها إلا أن تدخل الصدر الأعظم رستم باشا أقنع السلطان بالتخلي عن ذلك وتم تعيين مراد آغا.

عمل مراد آغا بعد توليه الامارة على نقل مركز إدارته من تاجوراء إلى مدينة طرابلس الغرب واتخذ قلعتها مقرا دائما له كما حول الكنيسة إلى مسجد وانصرف إلى تنظيم أمورها الإدارية والعسكرية وحصن المدينة وبنى الاستحكامات حولها ورمم القلعة وأصلح أبراجها وقد حاول فرسان مالطة استعادة طرابلس الغرب عام 1552م، ثم جهزوا حملة تتألف من 12 سفينة حربية بقيادة أسقف كابوا الراهب مدعوما من البابا وتوجهوا إلى زوارة ودار قتال بينهما أسفر عن هزيمة الفرسان وفقدانهم لخيرة الجنود.

وبهذا نال مراد آغا شهرة كبيرة بانتصاره على الفرسان بعدها انصرف إلى انشاء حصون إضافية واهتم بالطرق وأقام نقط حراسة عليها ولاحق اللصوص وقطاع الطرق في كل مكان وظل في امارته حتى وفاته عام 1555م.[2]

بعدها تولى امارة ليبيا الريس طرغوت واليه ينسب توطيد الحكم العثماني فيها فعمل على اخضاع المناطق الداخلية وضرب مثيري الفوضى ولاحق القبائل البدوية الثائرة وحذرها من مهاجمة بعضها بعضا

[1]- محمود علي عامر، محمد خير فارس: المرجع السابق، ص ص 167 – 168.

[2]– إتوري روسي: ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911، تر: خليفة محمد التليسي، ط2، 1991، الدار العربية للكتاب، ص 172.

وأمّن الطرق وقضى على اللصوص وقطاع الطرق فغدت الولاية تعيش في أمان منطقع النظير، كما نظم الجيش وكلفه بالسهر على الأمن وفرض رقابة شديدة على الانكشارية وأقام لهم ثكنات خاصة بهم بالقرب من القلعة، وحدد لهم أوقات تجولهم في الأسواق، ومنع الجباة من اتباع الظلم، وبعد تحقيق الاستقرار انصرف إلى الاهتمام بالمدينة فرمم الأسوار وجدد الاستحكامات وبنى أبراج إضافية وأنشأ دارا للبارود جنوب القلعة وبنى مسجدا باسمه لا يزال حتى الآن.[1]

وفي أيامه ثار سكان غريان وأعلنوا العصيان عليه وهاجموا حامية الاتراك وذبحوا فيها قسما كبيرا فحاول معاملتهم بالحسنى لكن دون جدوى فقام بتجهيز حملة من الانكشاريين قادهم بنفسه فقام بمحاصرة المنطقة وطلب من الثائرين الاستسلام لكنهم رفضوا وصمموا على المقاومة والتصدي له فأمر بضربهم بشدة وقسوة وبعد اخماد الثورة فرض عليهم غرامة مالية كبيرة تأديبا لهم ثم اتجه إلى بني الوليد وألزمها بالطاعة وكانت جولته مهابة لسكان الدواخل فتأثرت على اثرها مدينة " تاروغا" أكثر من غيرها من قسوة طرغوت وحملته التأديبية.

تتفق المصادر جميعها الى القول أن الريس طرغوت كان يتمتع بقدرة فائقة على حسن الإدارة وأسلوب المعاملة فهو لا يعتمد القسوة منهجا إلا عندما يفشل في الاقناع ولا يستخدمها إلا على اللصوص وقطاع الطرق، وقد انفرد طرغوت بحكم الولاية حكما مركزيا فحجب الثقة عن قائد الجيش وآغا الانكشارية وحملها مسؤولية الاضطراب ونشر الفساد والإخلال بالأمن وعهد للقاضي مسؤولية انصاف المظلومين وطلب إليه إعلامه بأبسط المخالفات وأسند للأهالي بعض الإدارية البسيطة وشجعهم على الزراعة والصناعة.

كما شجع الأعمال البحرية وأشرف بنفسه عليها ووضع عائداتها في خزانة الولاية وهذا لتحسين أوضاعها خاصة عند تعرضها للكوارث الطبيعية، وفي عام 1557م تعرضت الولاية لمرض الطاعون الذي أودى بحياة الكثيرين من سكانها بما فيهم الأرقاء المسيحيين فأقام محاجر صحية ومد المنكوبين

[1]- عينات دفتري نمره: ص ص 1147- 1132.

بالمال والغذاء، وطالب ولاة الجزائر امداده بالمؤن والطعام كما طلب من إسطنبول تزويده بالعتاد والكساء وحظر على الأوربيين الدخول إلى مناطق غير المصابة بالوباء [1]

وقد تصدى طرغوت لحملة عام 1560 قادها الأسطول الاسباني ودار بينهما قتال مخيف قبالة الشواطئ الطرابلسية وانتهى الاشتباك بهزيمة الاسبان وبفضل خبرة طرغوت وشجاعته القتالية تمكن من سحق الاسبان وأصبح يعرف " بالقائد الذي لايقهر " بعدها انصرف لتنظيم أمور ولايته فنظم الإدارة تنظيما جيدا وعين القضاة وقادة الجيش والزم الإنكشاريين بالطاعة وحذرهم بشدة م معاملة الأهالي بقسوة ومنعهم من تحصيل الجباية أكثر مما هو مفروض عليهم وخصص للجند ثلاثة أيام للتجول داخل المدينة[2].

صمم السلطان العثماني بطرد فرسان القديس يوحنا من جزيرة مالطة واقتلاعهم منها فقام بتجهيز حملة ضخمة في أفريل 1565م وحاصرت الجزيرة ونظرا لمتانتها وقوة أسوارها وشجاعة مقاتليها فضل الاتراك في دخولها وتعرض اسطولهم للدمار والغرق والابادة واستشهد في المعركة الريس طرغوت مع خيرة أبناها الشجعان، فحزنت ليبيا حزنا شديدا ودفن في مسجده في 24 جوان 1565م ورفع الحصار عن مالطة الذي دام ثلاثة أشهر واستشهد أكثر من 35 ألف في حين فقدت ولايات الشمال الافريقي الأخرى ما يزيد عن 15 ألف رجل.[3]

ومعظم الولاة الذين خلفوا الريس طرغوت في إدارة ولاية ليبيا لم يكونوا على مستوى المسؤولية الملقاة على عاتقهم وجل ما تركوه الفوضى والمحسوبية وكان منهم سببا مباشرا في توسيع دائرة الفوضى وتعميق الصراع بين الجند معتمدين أسلوب الرشوة والظلم منهجا لهم، ولمس سكان الولاية تصرفات الولاة وصراع الجند، وقد تركت ولاية طرابلس فترة بدون وال فالأهالي يعمهم الحزن بوفاة طرغوت والسلطان العثماني غارق في بحر اللهو والمجون من جهة ومشكلات الجند وثورات الولاية وعصيانهم من

---

[1]- محمود ناجي: تاريخ طرابلس الغرب، ص 150.

[2]- كوستانزيو برينا: طرابلس من 1510- 1850، ترجمة خليفة محمد التليسي، طرابلس، 1969، ص ص 73- 74.

[3]- Ismail Hakki Uzun : çarsili Osmanli Tarihi, Ankara 1975, cilt 2 s p 387، حسن صافي: طرابلس الغرب، ص 42- كوستانزيو برينا: المصدر السابق، ص 88.

جهة أخرى وجند الولاية فرحين بغياب السلطة فاشتد الصراع فيما بينهما وسئم الأهالي حياة الفوضى فراسلوا السلطان ملتمسين منه وضع حد لوضعهم فكلف يحي باشا بإدارة الولاية

عمل يحي فور وصوله على ضبط الانكشارية والزامها بالطاعة فبدأ بضرب المفسدين من الجند واعدم عددا منهم كما لاحق المشاغبين وقطاع الطرق واللصوص فخافه الجميع فعم الهدوء والاستقرار فاستقامت الأمور وعادت الحياة إلى الولاية وجدد السفن ورسم لها خطط تحركاتهم البحرية فقد حقق إنجازات إدارية جيدة قدر الأهالي مجهوداته لكن المنية قد وافته فبكوه أسفا عليه[1]

لم تعهد الدولة العثمانية عقب وفاة يحي إلى وال يدير شؤون البلاد فاستغلت الانكشارية الفراغ فعاثت فسادا وعم الظلم مختلف المدن الليبية إزاء تفاقم الفوضى فأعلن أهالي غريان الثورة فهاجوا العثمانيين وشكلوا لحنة وطنية جالت المناطق البدوية والداخلية للتحريض ضد العثمانيين وطردهم وقد وصلن الأنباء إلى السلطان الذي كلف قلج علي بإدارة الولاية.

عمد قلج علي فور وصوله طرابلس الغرب إلى تجهيز حملة من الانكشاريين وتحرك بها إلى تاجوراء الثائرة على الحامية التركية وبعد اخضاعها توجه إلى بقية المدن الثائرة فعم الهدوء والاستقرار وجه اهتمامه لتأديب الانكشارية فقطع رؤوس بعض الجند الخارجين عن القانون وطبق عليهم الإجراءات التي طبقت زمن الريس طرغوت ثم انصرف إلى تشجيع الأعمال البحرية فأعد لهم السفن اللازمة حيث أصبحت السفن الليبية تتمتع بالقوة والتنظيم، كما اهتم قلج علي إلى تحسين أواع الولاية من حيث رسم الأسوار والقلاع وبناء الأبراج التي هدمت، وجدد معمل البارود وقد وصله فرمان سلطاني عام 1568م يقضي بتعيينه أمير أمراء الجزائر.

لم يستمر قلج علي طويلا في امرة الجزائر لأن السلطان العثماني عهد إليه قيادة الأسطول الهمايوني وبعد سنة ونصف من الجهد المتواصل استكمل بناء الأسطول الذي تحطم في مالطة استعدادا لمواجهة

[1]- محمود علي عامر، محمد خير فارس: المرجع السابق، ص ص 176- 177.

معركة التحالف البحري الأوربي في ليبانتو، وأسفرت المعركة التي حدثت في 27 سبتمبر 1571م عن تحطيم الأسطول العثماني الذي أعاد بناءه قلج علج.[1]

شاركت ولايات الشمال الافريقي ببحارتها ومقاتليها في معركة ليبانتو وقاد القوات الليبية إليها جعفر باشا الذي خلف قلج علي في إدارة الولاية، خسر الليبيون في المعركة الكثير من أبنائهم وحملوا جعفر مسؤولية خسائرهم المادية والبشرية وعدوا قدومه إلى الولاية نذير شؤم ودمار فكثرت الاضطرابات في عهده ولم تبق مدينة ليبية إلا وثارت احتجاجا على ادارته الحافلة بالظلم ولشدة ضربه للثائرين لجأوا إلى مدينة قفصة التونسية واتخذوها قاعدة يشنون منها هجماتهم ضد جعفر باشا وقواته.[2]

تخوف جعفر من هروب أعدائه إلى قفصة فقرر مهاجمتها وعندل دخوله اليها عامل أهلها بالقساوة فأرهقهم بالضرائب ومنها توجه إلى القيروان وسوسة بحجة الحاجة إلى المواد الغذائية، ثم أعلن ضمها إلى ولايته متذرعا بأن قواته حررتها من الأعداء.

احتج سكان تونس على تصرفات جعفر باشا وطالبوه بإعادة تلك المدن إليهم وحينما تجاهل مطالبهم أعلنوا الثورة عليها فكثرت العصيانات في مختلف المدن ووصلت انباء أعمال الشغب إلى السلطان وعلى الفور كلف برثو باشا إلى تونس لتقصي الحقيقة وإعلامه بمجريات الأمور.

توجه برثو باشا إلى تونس وعلى الفور اتصل بجعفر وطلب منه الأسباب التي أدت إلى مهاجمة المدن التونسية ولكن لم يقتنع بكلام جعفر قرر الاطلاع على رغبات الأهالي ثم أعد تقريرا للسلطان وبناء على ما ذكر في التقرير امر السلطان إعادة القيروان وسوسة والمنستير إلى تونس في حين أبقى جربة وصفاقس وقابس تابعة لولاية ليبيا.

كان جعفر باشا رجلا ظالما وفاسدا عمل على إيقاع الفتنة بين الإنكشاريين كما لجأ إلى ابتزاز الأموال من الأهالي مستغلا أسلوبه الضرائبي فعمت الثورة مختلف المدن، وأعلن الحجاج عام 1575م ثورته في غريان ثم لحقتها مدينة طرابلس، واتحدت قبائل بني الوليد مع يفرن وقررتا عدم دفع الضرائب

[1]- أحمد النائب: ص 215 – محمود ناجس: ص 150.

[2]- محمود علي عامر، محمد خير فارس: المرجع السابق، ص 178.

المفروضة، مما أدى بجعفر إلى المفاوضة فخفف الضرائب ثم لجات بقية المدن إلى المطالبة بتخفيف الضرائب ولكسب ود أهالي ولاية طرابلس قام بتنظيم المدينة وتجديد دار البارود ...

لكن سكان الولاية لم ترغب بإصلاحاته وظلوا حاقدين عليه وراسلوا السلطان بعزله فقام بنقله إلى ولاية شام شريف تقديرا لخدماته، فخلفه رمضان باشا الذي توجه إلى طرابلس الغرب رفقة زوجته إلا أن الأهالي لم يرحبوا به نظرا لاستيائهم من الولاة الأتراك وأيقنوا أنهم جاؤوا إلى بلادهم لممارسة الظلم والديكتاتورية والاضطهاد بعد الاستغاثة والإنقاذ.[1]

عمل رمضان باشا على تخفيف الضرائب ووعد الأهالي بمنع الجنود من التعدي ومحاسبة كل من يرتكب الجرائم كما لاحق قطاع الطرق واللصوص وأقام نقاط مراقبة على مداخل المدينة ومخارجها

كانت ولاية رمضان مليئة بالحقد والكراهية ضد الأتراك كما أن الإنكشارية كانت حاقدة على الولاة القادمين من إسطنبول فازدادت الأوضاع سوءا وانتشرت الثورات على نطاق واسع أكثر من ذي قبل ولم يكن رمضان باشا بالرجل الذي يحسن التصرف تجاه الأزمات فبدلا من استيعاب الثائرين والتقرب إلى زعامة طرابلس وعلمائها حملهم مسؤولية تحريض القبائل فألقى القبض على بعض الزعماء وأعدمهم، مما أدى إلى اعلان الثورة في مختلف المدن الليبية بمهاجمة الحاميات التركية فقام بإطلاق يد جنوده معتقدا أن الإنكشارية ستقف إلى جانبه.[2]

توحدت القبائل فيما بينها معلنة الثورة على رمضان باشا وجنوده فقرر تأديبهم بقواته من طرابلس في مارس 1584م وتوغل في الولاية ومنها اتجه إلى بني الوليد ثم توغل في الداخل حتى وصل ككلة لكنه هزم فعمد الأهالي إلى ردم الآبار الداخلية مما عرضه إلى موقف صعب وشاق نتج عنه تعرضت قواته للجوع والعطش ومات الكثير منهم وحينما صمم على ملاحقة العصاة ثار عليه قواده وجنوده وقتلوه قبل عودته إلى طرابلس.

[1]- محمود علي عامر، محمد خير فارس: المرجع السابق، ص 179.

[2]- كوستانزيو برينا: المصدر السابق ص ص 93- 94 ، شارل فيرو: ص 158.

استغل إنكشارية ليبيا مقتل رمضان باشا وقرروا تعيين شخص من بينهم وقدموا تقريرا إلى إسطنبول يسوغون للسلطان سبب مقل رمضان ولتحقيق أهدافهم شكلوا وفدا وأرسلوه إلى السلطان لتعيين شخص منهم فعاد الوفد يحمل فرمان يتولى " الإنكشاري مصطفى " محذرا الإنكشارية بعدم مخالفة الوالي الجديد وعدم ارتكاب الظلم تجاه الرعية.[1]

رحب سكان الولاية بالوالي الجديد الذي بدأ عمله بالبحث عن قتلة رمضان باشا وعاهد الأهالي على تطبيق النظام والعدل إلا أن الثورة ازدادت اشتعالا وقد تزعمها يحي السويدي أحد زعماء تاجوراء الذي وعدهم بإنقاذهم من ظلم الجنود الأتراك فالتفتت حوله الأهالي والتقى الطرفان في مسلاته وفر الأتراك منهزمين إلى قلعة طرابلس ودخلوها واغلقوا أبوابها عليهم فسارع زعماء قبائل ترهونه وغريان، مصراته، وبني الوليد وغيرهم من المدن الأخرى الانضمام إلى يحي السويدي وقواته فقرر محاصرة القلعة التي بها الأتراك.[2]

علمت استنبول بالأحداث الجارية في طرابلس فاستدعت مصطفى باشا وعزلته وعينت بدلا منه حسين باشا وقد باشر فور وصوله إلى الاتفاق مع زعيم قبيلة المحاميد ابن نويرة ووعده بوعود مما أدى به الوقوف إلى جانبه ضد يحي السويدي، فلجأ ابن نويرة إلى أسلوب التحايل والخداع وتظاهر بتأييده ليحيي السويدي واتفق الطرفات على مهاجمة الأتراك سرا وما ان بلغا سور المدينة حتى ألقى ابن نويرة القبض على يحي وسلمه إلى الوالي حسين باشا فقطع رأسه وأرسله إلى استنبول.

بعد هدوء الأحوال وسيطرة الأحوال على الموقف في الولاية كلف السلطان قائد الأسطول للتحقيق التي دفعت القيام بالثورة وقد اتضح أن أسبابها تعود إلى اتباع الولاة الرشوة والفساد وفرضهم ضرائب لا طاقة لأهالي ليبية باحتمالها وهذا لتجاوز الانكشارية الحدود وممارسة الاضطهاد فامر السلطان بالقبض على الضباط والقواد والولاة الذين حاولوا ابتزاز الأهالي ومصادرة أموالهم وإعادتها لأصحابها.

ساهم الاجراء الذي اتخذه القبطان باشا في ظهور قوة جديدة برزت على الساحة العسكرية ظلت قرابة نصف قرن تعاني الظلم والاضطهاد بسبب تحكم الانكشارية بأمور البلاد وتكليفها أمر

[1]- كوستانزيو برينا: المصدر السابق، ص 63- أتوري روسي: المصدر السابق، ص 180.

[2]- كوستانزيو برينا: المصدر السابق، ص 90، شارل فيرو: ص 159.

المحافظة على القلعة وحراسة الأسواق مقابل اعفائها من الضرائب والمحافظة على الأمن أثناء غياب الانكشارية في مهمة خارجية وهذه القوة التي ظلت حتى العقد من القرن 19 م هي القولوغية [1]التي تواجدت بنواحي المنشية والساحل والعلاونة والرقيعات والعزيزية ولم تتمتع بأي امتيازات وكانت أمورها تدار من قبل باش آغا وقد بلغ عددها قرابة 60 ألف ولهذا نقموا على الأهالي والانكشارية، وحينما آلت إليهم الأمور بدؤوا بالترفع على السكان وعاملوهم معاملة قاسية وهذا ما دفع الوالي حافظ باشا في مطلع القرن العشرين لاستخدام القوة ضدهم فجردهم من امتيازاتهم ونفاهم وشردهم عام 1902م.[2]

تعد الفترة الواقعة من سنة 1595م – 1606م فترة تمهيدية ساعدت ديوان الانكشارية " الجند " من تجريد الوالي من أي سلطة فعلية وكان الوالي إبراهيم باشا الذي تولى الإدارة عام 1595م يتجنب اثارة الخلاف مع الديوان الذي يحظى بتأييد السلطان وولاء سكان الولاية فانصرف لجمع الثروة نظرا لما منح له من صلاحيات.

عين إسكندر باشا عام 1600م واليا على طرابلس بصلاحية محددة لازمته حتى عزل ثم خلفه عام 1606م سليم باشا الذي استسلم لرغبات الديوان وانتهى به الأمر حدا فقد أحسن تصريف الأمور والاهتمام بشؤون الولاية كما أبدى سكان الدواخل تقديرهم للإدارة الجديدة وتعهدوا بدفع الضرائب في وقتها والمحافظة على الاستقرار، إلا أن سكان الجبل عام 1607 بزعامة عبد الله رفضوا دفع الضرائب فكلف الديوان ابن نويرة زعيم قبيلة المحاميد اخضاعهم فلبى ذلك فهاجم سكان الجبل في سهل طرابلس وقتل منهم حوالي 400 شخص ولاحقهم حتى حدود الجبل والزمهم بالطاعة ودفع الضرائب.[3]

---

[1]– القولوغية: مصطلح مؤلف من لفظتين: قول " عبد " أوغلو " ابن" أي أولاد العبيد وتشكلت نتيجة زواج الانكشارية من النساء المحليات ويؤكد اسماعيل تشارشلي ان هذا الاسم أطلق على العناصر الأعجمية وعلى أبناء الانكشارية ولم يطلق على أبناء المهتدين الذين تزوجوا من النساء المحليات للمزيد ينظر: Mehmet Zaki Pakalin, p 320.

[2]– محمود علي عامر، محمد خير فارس: المرجع السابق، ص 185.

[3]– كوستانزيو برينا: المصدر السابق، ص 107.

2-عهد الدايات " 1606- 1711م":

يعد الضابط سليمان أول انكشاري ترأس ديوان الجند في عهد الدايات[1] في ليبيا لكنه لم يرغب الالتزام بقرارات الديوان ونظامه وادرك أعضاؤه نواياه فطالبوه بالتنازل عن المنصب والالتزام بالنظام حقنا للدماء ومنعا لاثارة الفتن لكن الأمور تأزمت وكادت المناقشات أن تتحول إلى صدام مسلح بين أعضاء الديوان ومؤيدي الداي سليمان وقد اضطر إلى التنازل عن منصبه نظرا للنفوذ القوي الذي يتمتع به أعضاء الديوان والتأييد الجماعي من الأعيان والعلماء.

استمر الديوان بالسير على نهجه حتى عام 1611م وعد الباحثون هذه الفترة بالتميز سادها النظام وعلا العدل فيها وتساوى الجميع أمام القانون وضربت العناصر الفوضوية بدون رحمة ومنحت للبحرية التسهيلات وحرية التصرف وقد حققت نجاح وتفوق بحري وأغرقت الأسواق بالبضائع المحلية والمستوردة وتوافد التجار على الولاية لم يرى له مثيل وأقام الديوان علاقات جيدة مع أوجاقات تونس والجزائر ورحبت بالموريسكيين عام 1610م.

فاز الداي صفر بثقة الديوان وانتخب عام 1611م رئيسا له وهو اول ضابط انكشاري توصل إلى رئاسة الجند من خلال نفوذه الاقتصادي وتمكن بالمال م شراء ضمائر ضباط الديوان واقناعهم بضرورة جمع سلطة الوالي ورئاسة الديوان إلى الشخص الفائز، وبذلك جمعت السلطات بيده وأصبح الوالي المرسل من إسطنبول يمثل السلطان في المناسبات الرسمية والأعياد ونقل رغبات السلطان إلى رئيس الديوان وأعيان المدينة وعلمائها.

فاندفع الداي صفر بهوس السلطة والحكم فقتل مناوئيه وسخر أمواله لتعميق نفوذه وتنفيذ أوامره على القبائل البدوية التي استكانت لأوامره دون اعتراض ولزيادة صلاحياته نفى ضباط الانكشارية وضرب عناصرها بحجة الاخلال بالأمن والنظام وكانت اجراءاته الصارمة وأوامره الجائرة تحظى بتأييد أعضاء الديوان وأعيان طرابلس وعلمائها، فقد عمل أيضا على تحسين ولايته فشجع الأعمال البحرية

[1]- الداي: تعني الخال وهي تعادل ألب التي تعني الشجاعة والقوة، والجذير بالذكر أن كلمة داي استخدمت في شمال افريقيا كرتبة عسكرية ولم يقتصر الشخص المرشح على ميزة أو صفة يتحلى بها تدعى ثقة الجنود به ومحبتهم له للمزيد ينظر: Mehmet Zaki Pakalin, p407

واشترى سفنا كثيرة واستخدم الصناع واختار الشبان الانكشاريين للعمل في البحرية وأقام علاقات طيبة مع الدول المجاورة، ورحب بالتجار الأوربيين وعاملهم معاملة حسنة ولكن الداي صفر أسرف في الخطوات التي اتخذها وتناسى ضربه للانكشارية وحقدها عليه وكان ديوانها حل كما استخف بالوالي ووجهاء المدينة كما قام بمصادرة أموال الأثرياء وحكم على معارضي أوامره بالاعدام.[1]

لكن المدن الليبية بدأت تتهيأ للثورة فتوقف النشاط البحري وتلاحم الأهالي والانكشاريون استعداد لرفع عصا الطاعة وتخوف الجميع من تأزم الأمور وتجنبا لسفك الدماء شكل الديوان وفدا لمخاطبة الداي صفر لأكنه طرده وهدده بالموت ، بعدها كلف الصدر الأعظم حامد باشا بتولي امارة ليبيا التي وصلها عام 1614م فاستقبله الداي صفر ودم له الهدايا المينة فانحاز إلى صفه فتشكل وفد من الأهالي لقديم الشكاوي إلى السلطان الذي أمر أحد ضباطه وهو خليل باشا الذهاب إلى ليبيا التي وصلها عام 1615م وقد قام بإعدام الداي صفر مشنوقا على أبواب القلعة وصودرت املاكه.[2]

بعدها عين حامد باشا دايا على ليبيا لكنه عزل وتم تعيين سليمان الذي عرف بالحكمة والعدل فقام بتخفيف الضرائب وقام سكان غريان وترهونة بالثورة لكنه عاملهم باللين والملاطفة لكنه رجع الى استخدام القوة معهم نتيجة عنادهم وعزل سليمان باشا من منصبه عام 1619م[3] وعين حسن باشا لكنه لم يستمر طويلا في منصبه فعين مصطفى شريف من طرف ديوان الانكشارية ثم اتاه فرمان من طرف الصدر الأعظم والسلطان الذي يقر بتعيينه دايا على ليبيا وقد عمل على تطبيق العدل وتأمين الاستقرار في أرجاء البلاد وشجع الأعمال البحرية ووصلت حتى سردينيا وجدد معاهدة الصداقة مع برنو، لكنه لجأ إلى الظلم والتعسف مع الأهالي وارهاقهم بالضرائب واحتكر الغنائم لنفسه فأصدر الصدر الأعظم باعدامه لكنه فر إلى القلعة مع مؤيديه بعدها أعدم على أبواب القلعة عام 1630م.[4]

---

[1]- elàl Tevfik Karasapan, p 115. محمود علي عامر، محمد خير فارس: المرجع السابق، ص 188.

[2]- كوستانزيو برينا: المصدر السابق، ص ص 111-112.

[3]- نفسه: ص ص 117- 119.

[4]- elàl Tevfik Karasapan, p 115

أ–فترة القوة في عهد الداي:

تعد فترة محمد باشا الصاقزلي من اكثر الفترات هدوء واستقرار ففي عهده بلغت الولاية مرحلة ازدهار اقتصادي وهدوء امني ونشاط بحري قلما عرفتها خلال الوجود العثماني وقد شبهت مرحلته من قبل المؤرخين بمرحلة الريس طرغوت.

كما اهتم بالولاية اهتمام كبير حيث عمرت الأسواق بالبضائع الأجنبية حيث أقاموا علاقات تجارية نشطة مع بعض الدول الأوربية وتوغل إلى المناطق الداخلية لتصلهم البضائع المستورة كما أن السفن الليبية بلغت أقصى المحيطات وبالتالي عرفت الولاية تنظيما إداريا وماليا لم تعرفه من ذي قبل وقد اعفى المزارعين من الضرائب مدة 5 سنوات وأقام اللآبار وأمن الطرق وانصرف إلى توسيع دار صناعة السفن، كما أولى اهتماما بالجيش فأشرف بنفسه على اعداده وتنظيمه وفرض عليه نظاما عسكريا صارما وحدد له الرواتب ثم شكل قوات عسكرية إضافية سماها " الرديف " التي تتألف من الأهالي والعبيد مهمتها حفظ الأمن وعهد أمر الاشراف عليها إلى المشايخ كما عهد إلى زعماء القبائل البدوية مهمة التنظيم وحملهم مسؤولية اثارة الشغب وارتكاب أعمال السرقة والتعدي على القوافل التجارية.

لكن الداي محمد باشا أدرك أن استانبول غير راضية على تصرفاته بشأن منح الارساليات المسيحية امتيازات واسعة في الولاية فتصرف وكانه أمير مستقل وغير تابع لها وإزاء تصرفاته ازدادت النقمة عليه فدس له السم ولابنه في 18 أوت 1649م ودفن بجوار مقبرة الريس طرغوت باشا.[1]

بعدها عين عثمان باشا الصاقزلي خادم محمد باشا دايا على الولاية وقد كان قرصانا بحريا شجاعا وامتاز بالصبر ومواجهة الأخطار ومنذ البداية خافه الانكشارية وتجنبت معارضته وقد عمل على الاهتمام بالبحرية وأشرف عليها بنفسه ووسع دار صناعة السفن وقد عرف عنه الترف وبناء القصور فأقام قصرا خاصا به سمي " الأعمدة" كما توافد التجار الأوربيون بأعداد هائلة.

[1]- شارل فيرو: ص 180 – elàl Tevfik Karasapan, p 135

ويمكن القول أن فترة القوة من مرحلة الدايات مثلها الدي محمد باشا الصاقزلي وعثمان باشا الصاقزلي واستمرت من 1631- 1672م عرفت الولاية خلالها فترة ازدهار تجاري وبحري واستقرار أمني مكن الأهاي من العيش والتعايش فيما بينهم ومع جيرانهم وتركا بصمة إدارية وأمنية واقتصادية لم تشهد له مثيل.

كما عمل على تأديب قبائل بني الوليد التي حاولت العصيان، وقد عم الرخاء في الولاية واستمرت ولايته 23سنة وقد كانت نهايته أن سمم نفسه بعد قتال دار بينه وبين الأهالي والانكشارية ودفن بجوار سيده عام 1672م.[1]

وبموتهما بدأت أوضاع الولاية العامة بالتدهور والانهيار امتدت قرابة 40 سنة انتهت بقيام الأسرة القرمانلية.

ب–فترة الضعف والفوضى:

شهدت الولاية عقب انتهاء فترة القوة من عهد الدايات صراعا دمويا بين أعضاء الديوان فيما بينهم وبين الضبط وجنودهم، كما لم تعمد الدولة العثمانية إلى التدخل او إيجاد حل للأوضاع المتدهورة بغية انقاذ الأهالي من الفوضة والاضطراب، واستمر ديوان الانكشارية بالسير على النهج الذي سلكه منذ عام 1595م، وبعد اجتماع هذا الأخير انتخب عثمان دايا وانتخب الريس علي لمنصب الكاخيا[2] وقد تمتع بحسن الخلق وحكمة وعقلانية لكنه كان مكروها من قبل البحارة الذين احتجوا عليه فخلوه وقتلوه وعين مكانه بالي شاويش فعمل على تهدئة الأمور وألزم العساكر بالطاعة وضرب العصاة منهم

[1]–p 136 elàl Tevfik Karasapan,

[2]– كاخيا: وتعني صاحب البيت أو بيت الأعمال " حاليا يعادل الغرف التجارية أو الصناعية" والشخص الفائز من قبل الدولة كان يلقب سابقا دعاجي أو شيخ أو نقيب وهي اصطلاحات عربية الأصل استبدلها الأتراك كتخدا أي الشخص الذي يقوم بالوساطة بين الصناع والدولة وعادة ينتحب من قبل الصناع لرعاية مصالحهم لدى الدولة وبعد التنظيمات لعب الكتخدا دورا بارزا في التاريخ العثماني وتمتع بنفوذ قوي تلى الصدر الأعظم في الأهمية للمزيد ينظر:Zaki Pakalin, p 178

بشدة فأغلق الكنائس التي فتحت زمن محمد باشا وعمال الأسرى المسيحيين بالقسوة وقد توفي في أوت عام 1675م.[1]

خلفه مصطفى بهلوان لكن خلع ونفي إلى جزيرة جربة ثم انتخب إبراهيم مصرلي أوغلوا الذي كان يتمتع بنفوذ قوي وشعبية كبيرة واشترط الديوان عليه استشارته في كل الأمور التي تهم الولاية والعمل على تطبيق النظام وإقامة العدل والحد من نفوذ الأوربيين وتأمين الأموال لخزانة الولاية.[2]

وقد كان إبراهيم شجاعا لا يتورع عن قتل كل من يعارضه فخافه الجميع وتوقعوا منه ظلما كبيرا فقد ضرب القبائل الثائرة بشدة وقسوة وأثقل كاهلها بالضرائب والغرامات ونفى الضبط المنافسين له خارج مدينة طرابلس مما أدى إلى تقديم شكوى للسلطان وحين سماع إبراهيم بذلك فر هاربا وترك المدينة ثم وقع الاختيار على إبراهيم جلبي وانتخب احمد كاخبا له ثم عزل إبراهيم فاختار الديوان الضابط محمد باشا الذي فاز بثقة الجميع لكن بعض الضباط احتجوا عليه وعينوا الاستانكولي مصطفى الكبير الذي تمتع بالقوة والشجاعة وفي عام 1678م عرفت البلاد وباء شديدا قتل عدد كبير من الأهالي ومنهم الداي مصطفى فانتخب الضابط عثمان لكنه لم يبق إلا ثلاثة أشهر فعاد الديوان وعين محمد آق ديمرجي لكنه لم يكن الرجل المناسب وعين خليل بك الذي اتبع الشدة والقسوة لفرض الأمن والقضاء على الفوضى ورمم القلاع وانشأ الحصون ووسع دار البارود وقام ببناء لصك النقود وبذل جهودا لاعادة البحرية إلى سابق عهدها، ثم عين الحاج مصطفى لكنه عزل وعين محمود مويس الذي فرض الامن فالزم الجميع بالطاعة ولاحق اللصوص الذين انتشروا في البلاد وقد رأى أن الضابط محمود أن أحمد باشا القرمانلي شخصية قوية ومنافس عنيد ففكر بالتخلص منه لكن خطته لم تنجح فتفطن لها أحمد فأطلعها على العساكر فغضبوا من تصرف الداي محمود واثناء دخولهم المدينة نادى أهلها بأن يصبح أحمد هو الداي وبالتالي أخذ منصبه برضا الجند وقد تمكن من تأسيس سلالة حاكمة من سنة 1711 إلى 1835م.[3]

---

[1]-p 137 elàl Tevfik Karasapan, ، aziz Smahi Alter, p 226

[2]- كوستانزيو برينا: المصدر السابق، ص 208.

[3]- aziz Smahi Alter, p p 224-225، أحمد النائب: ص ص 282- 287.

3-عهد الأسرة القرمانلية[1]: 1711م – 1835.

إذا كان القرن 18 قد تجلى ببروز بعض الزعامات المحلية في الولايات العثمانية فإن مناطق الشمال الافريقي امتازت ببروز الأسر التي مثلت النفوذ المحلي كما ضعفت الانكشارية التي قتل بعضها وتقاعد الاخر وقد حلت القولوغلية[2] محل الانكشارية التي شاخت وهرمت، ولم تظهر الأسرة القرمانلية نتيجة تخطيط وغنما نتيجة حتمية للعصر أولا وللمراحل السابقة التي عانتها ثانيا ولم يكن احمد باشا من سلالة عريقة أو ابن زعيم ديني أو طريقة صوفية وليس له ماض حربي يكسبه المجد بل كان من ضبط الانكشارية وقد نجا من عملية نفي أو قتل وتعلق المصادر على رجولته فقد دخل مدينة طرابلس 27 جوان 1711م فقد تحصل على فرمان التولية من إسطنبول.[3]

قام أحمد باشا بملاحقة حركات العصيان والتمرد التي حدثت في تاجوراء وترهونة وقاد حملة ضد مسلاتة وتعد ثورة علي بن عبد الصنهاجي عام 1715م من أكثر الثورات صعوبة لأن قائدها تستر بالدين فادعى أنه المهدي المنتظر فالتفت القبائل " الجبل الأخضر، الكمكوم، برقة" فقاموا بعمليات الحرق والسلب والنهب فجهز أحمد باشا حملة لاحق الثائر عبد الله ومؤيديه ففر الأخير تاركا أنصاره يواجهون الموت على يد الداي.

لم يبذل أحمد باشا جهدا كبيرا في القضاء على حركات التمرد والعصيان بسبب وقوف ومساعدة الأهالي له إضافة إلى التزام الجند بالطاعة والانصياع لأوامره مكنه من تنظيم أمور الولاية تنظيما محكما

---

[1]- الأسرة القرمانلية: اسرة تركية الأصل من مدينة قرمان الواقعة جنوب الأناضول في آسيا الصغرى، جاء الجد الأكبر أثناء قدوم سنان باشا لتحرير طرابلس الغرب من الفرسان سنة 1551م وكان مصطفى باشا الجد الأكبر من جملة الجنود الذين امر سنان بابقائهم، فاستقر في منطقة المنشية ومارس التجارة وتمكن من امتلاك مزارع وتزوج من فتاة طرابلسية الأصل واندمج مع أهالي المدينة للمزيد ينظر: ابن غليون: التذكار فيمن ملك طرابلس من الأخبار، تح: الطاهر الزاوي، ص 190- ينظر أيضا: رودلفو ميكالي: طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية ، تر: فوزي طه، ص ص 11-12.

[2]- قول أوغلو: ومعناها ابن العبد نشأ هذا الجيل نتيجة تزاوج الجنود الأتراك من النساء المحليات، والنسل الجيل أطلق عليه اسم القولولية عاشت القولوغية خاج السور وكلفت بحراسة المدينة، ولم يكن لها من المميزات سوى اعفائها من الضرائب، ومع مطلع القرن 18م بدأ نفوذها يزداد إلى أن تسلمت السلطة وظل نفوذها إلى ان قضى عليها الوالي حافظ باشا في مطلع القرن 20م لدى رفضها دفع ما عليها من ضرائب.

[3]- حسن محمود : ص 183- أحمد النائب: ص 289- عمر علي بن اسماعيل: ص 38.

فقد قام بملاحقة اللصوص وقطاع الطرق في كل مكان ثم التفت إلى تحصينات الولاية فرمم الحصون والقلاع وأصلح أسوار المدينة وأبراجها وشيد حصونا إضافية وبنى جامعا باسمه.[1]

تمكن احمد من تعميق نفوذه وتقوية مركزه فضمن لأبنائه من بعده حكم الولاية حكما وراثيا واستبعد الأهالي الطامعين في الإدارة ولاحق أبناءهم خشية الفتنة وإقامة التحالفات المحلية فقد أصبح يصدر قراراته بعيدا عن السلطان وكلأنه حاكم مستقل، وقد تلقب بأمير المؤمنين وسك نقودا باسمه فباشر بعقد صلح مع النمسا دون مراجعة استنبول ورفع اسم السلطان في الخطبة وتشكيل مجالس شرعية في مختلف أنحاء الولاية دون الحصول على موافقة مفتى الإسلام من إسطنبول، وقد استمر أحمد في نهجه الإداري لكنه خفف من مواقفه العدائية للسلطان العثماني فراسله وعينه بلقب " مير ميران ولقب باشا" وقد قام بقتل نفسه في 4 أكتوبر 1745م ودفن بجامعه.[2]

خلف أحمد باشا ابنه محمد باشا وقد حرص على تأمين حدود ولايته فأوقعت سفنه الرعب والخوف مختلف السواحل التي هاجمها فسارعت معظم الدول الأوربية لخطب وده وعقد اتفاقيات ومعاهدات جديدة، كما أنه تحصل على امتيازات سياسية واقتصادية مع بريطانيا، وغدت الجالية البريطانية أكثرها تواجدا في ليبيا وقد عرفت البلاد خلال السنوات الأولى من حكمه هدوء أمني ورفاهية اقتصادية واستقرار اقتصادي لم تعرفه خلال القرن 18م.

انغمس محمد باشا في حياة اللهو والمجون وترك إدارة الأمور لأقربائه فعمت الرشوة مختلف الدوائر والإدارات، ومارس أقرباؤه أعمالا مشينة وبلغ تجاوزهم حد عقد المعاهدات باسمه مقابل رشاوي، وفرضوا على الأجانب اتاوات أوقعت ادارته في مآزق سياسية مع الدول الأوربية وساءت علاقته كثيرا بالدولة العثمانية وانتهى به الأمر إلى القتل في احدى حفلات العبث والمجون التي كان يقضيها وع رفاق السوء.

خلفه في إدارة الولاية ابنه علي باشا فكان صغير السن جعل الضباط اوصياء عليه فاستغلوها لتقوية نفوذهم واستعادة مجدهم لا سيما الانكشاريين فبطشوا بالقولوغلية والأهالي وعقدوا التفاقيات

[1] -aziz Smahi Alter, p 290 ،Mahmut Amer : Trablusgrap Osmanli Faliyati, p 40

[2]- أتوري روسي: المصدر السابق، ص 280 – حسن صافي: طرابلس الغرب تاريخي، ص 56- محمود ناجي: تاريخ طرابلس الغرب، ص 160

مع الأجانب لقاء اتاوات مالية كما صادروا عائدات السفن البحرية، فكثر أعداؤهم وفسدت العلاقات مع جيرانهم وامتازت السنوات الأولى لعلي باشا بتعرض الولاية للطاعون والمجاعة وسوء الإدارة وفوضى الضباط وخيانة أقربائه وعزوف العلماء والاعيان عن التدخل لاصلاح الأمور .

وقد استغل يهود الولاية الذين قدموا من الأندلس الوضع المتردي وفساد الانكشارية وضباطها فقاموا بشراء المناصب المهمة وسخروها لصالحهم واستغلوا الفقر بشراء المنازل وكونوا حيا خاصا بهم في حين انطلق البحارة بمهاجمة السفن مخالفين بنود الاتفاقيات المعقودة.[1]

كان لعلي باشا ثلاثة أولاد حسن، يوسف، وأحمد وكانت العلاقة بينهم سيئة جدا فكل منهم يخشى الآخر ويتخوف من أن يعهد الأب لأخيه بولاية العهد، وقد وصل الحال لقتل يوسف أخاه حسن أمام امهما فعم الاضطراب والقلق مدن الولاية وخاصة طرابلس لكن علي باشا تمكن من حقن الدماء وفي 20 جويلية 1790 م تم تعيين أحمد باشا لكن سكان مصراتة اعلنوا الاحتجاج على الحاكم الجديد لكن الفتنة بين العائلة تجددت أيضا وقد تم اصدار قرار من السلطان عين علي باشا الجزائري والي جديد عام 1794.[2]

عمل علي باشا الجزائري[3] على التخفيف من قيمة الضرائب المفروضة وضرب العصاة ولاحق اللصوص والزم الجند بالطاعة ولقب بالبرغل.

عرفت ليبيا بين سنتي 1791- 1793 وحصار سنوات 1793 – 1794- 1795 مرحلة مليئة بالفوضى والقلق نتج عنها اضطراب امني وضيق اقتصادي كما عمت السرقة والنهب وتعرضت

---

[1]- عمر علي بن إسماعيل: انهيار الأسرة القرمانلية في ليبيا 1795- 1830، " د ت"، ص ص 47- 48.

[2]- عمر علي بن إسماعيل: المرجع السابق، ص ص 49- 51 ، أحمد النائب: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، " د.ت"، ص 303، aziz Smahi Alter, p 232 ، elàl Tevfik Karasapan, p 127

[3]- علي باشا الجزائري: عاش فترة طويلة في الجزائر وتولى فيها منصب رئيس البحرية كما كلف بمنصب وكيل الخراج، لكنه طرد منها لاتباعه الرشوة والإساءة للأهالي، جمع ثروة عظيمة فتوجه إلى استنبول وتمكن بأمواله من شراء منصب والي طرابلس الغرب، وبعد فشله في الحصول على الأرز لقب بعلي برغل، ويذكر عمر علي ابن إسماعيل أن اسمه علي بن زوال للمزيد ينظر: عمر علي بن إسماعيل: المرجع السابق، ص 60.

تحصينات طرابلس للتخريب والدمار وزهقت الكثير من الأرواح فعمل يوسف باشا إلى اصلاح أبراجها وأسوارها وزاد من قوتها الدفاعية كما لاحق اللصوص وقطاع الطرق ومسببي الفوضى والشغب.[1]

فبتوليه أمور غدارة البلاد حدثت تغييرات جذرية فقد اعتمد سياسة الاقناع وذلك عن طريق دهائه الخارق فعم الاستقرار كما عمل على تعميق صلاته بالدولة العثمانية ولتقوية نفوذه لجأ إلى الأعيان ووجهاء طرابلس وزعماء القبائل البدوية لاقناعهم بضرورة تعيينه واليا على ليبيا، لكن يوسف لم يلتزم بالوعود التي قطعها للسلطان وبخاصة المحافظة على السفن التي ترتبط مع الدولة العثمانية بعلاقات ود وصداقة إلا أنه هاجم جميع السفن التي تمر في البحر المتوسط وعدم اطلاقها إلا بعد ما دفع عليها من اتاوات وفي ام 1797 قدمت العديد من الدول شكاوي إلى السلطان مطالبين بعزله فجاءه فرمان عثماني يحذره من تصرفاته إلا انه رفض الالتزام بها، ثم لجأ إلى إدخال إصلاحات على المدينة من التحصين والترميم وتزويدها بالمدافع[2] ثم انصرف إلى بناء أسطول بحري ضخم يستطيع مواجهة تحديات الدول الأوربية كما شجع الشبان في البحرية وأعفاهم من الضرائب والخدمة العسكرية ومنحهم رتب عالية.

وقد أراد من ذلك تأمين وضمان قوة الولاية ومواجهة الدول الطامعة وتامين مردود اقتصادي كما هدف إلى ربط العلاقات مع الدول الأخرى بدل الدولة العثمانية، لكن السلطان العثماني غضب من يوسف باشا نظرا لتجاهل قراراته وهذا التصرف سبب له مشكلات داخلية وخارجية، وخلال عام 1803 ثار أهالي غريان احتجاجا على ارهاقهم بالضرائب وممارسة العنف، وفي سنة 1806م قام أحمد بن سيف شيخ قبائل سرت بالإغارة على السفن الأجنبية الراسية على ساحل المدينة، كما ثارت مدن أخرى منها غدامس وغيرها.[3]

---

[1]- عزيز سامح التر: الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، تر: عبد السلام أدهم، ص 159.

[2]- أتوري روسي: المصدر السابق، ص 315.

[3]- رودلفو ميكاكي: طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، تر: فوزي طه، معهد الدراسات العربية العالمية، 1961، ص 147- أتوري روسي: المصدر السابق، ص 319- عمر علي بن اسماعيل : المرجع السابق، ص 86- aziz Smahi Alter, p 237.

ثم جاء علي باشا ابن يوسف باشا وقد رغب علي في تطبيق العدالة وانصاف المظلومين وتوطيد الأمن والاستقرار، وقد استمر النزاع بين صفوف الأسرة القرمانلية فانقسمت البلاد إلى قسمين قسم يؤيد محمد بك ويحظى بتأييد اوربي وقسم يؤيد علي باشا المدعوم بالعساكر وبعض القاطنة بجوار طرابلس وتفيد المصادر بأن رساتين وجهت إلى السلطان واحدة من طرف شاكر افندي وواحدة من طرف علي باشا وقد اجتمع الصدر الأعظم مع كبار الدولة واتخذ قرار يقضي بإعادة الولاية إلى الإدارة المباشرة للدولة العثمانية نظرا لتردي الأوضاع الاقتصادية والأطماع الأوربية بها.[1]

تحرك الأسطول العثماني من إسطنبول في شهر أفريل عام 1834 فوصلها في 27 أفريل وعهد إلى مصطفى نجيب باشا بتسوية الأمور وانهاء الأسرة القرمانلية وإدارة الولاية وتوطيد الأمن والاستقرار فيها.

وقد صرح مصطفى نجيب أن مهمته فرض النظام والقضاء على مثيري الشغب والفوضى وتلا الفرمان السلطاني القاضي بإزالة الأسرة القرمانلية وقد اقتضى الأمر من الدولة العثمانية بعد إعادة طرابلس إلى سيطرتها المباشرة التعامل مع التغيرات الدولية أولا وما تعانيه من تبديل اداري في مرزها ثانيا فالاطماع الفرنسية تجاوزت الجزائر إلى تونس ومحمد علي باشا لم يعد مقتنعا بمصر والشام وبريطانيا لها مصالحا الخاصة بولاية مصر والشام والشمال الافريقي، وروسيا تتطلع للوصول للمياه الدافئة

إن الاضطرابات والقلاقل وجهل الولاة منذ 1551م حتى عام 1850م أعاق أي تطور فكري للإنسان العربي الليبي يتعدى للتخلص من الظلم وتأمين لقمة العيش واسكات مدافع الصراع التركي على الإدارة واستمر الأمر حتى فترة الثمانينات مدفوعة بتأثير أحداث عدة منها:

-الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830م ولتونس عام 1881م

-الاحتلال الإنجليزي لمصر عام 1882م.

[1]- محمود علي عامر، محمد خير فارس: المرجع السابق، ص 235.

– قيام الوحدتين الإيطالية عام 1870م والألمانية عام 1871م وانعقاد مؤتمر برلين وتولي السلطان عبد الحميد الثاني الحكم عام 1876.

–تعيين أحمد راسم باشا واليا على ليبيا وسعيه الجاد لخلق نضوج فكري وإدراك الأخطار المحدقة بالولاية واكمل طريقه الوالي رجب باشا.

– التأثيرات الثقافية التي خلفتها الحركة السنوسية.

هذه الأحداث التي فرضها النصف من القرن 19م ساهمت في خلق وعي كبير ونضج عميق أعطى ثماره الفعلية بعد خروج الأتراك من بلادهم وأثناء الاحتلال الإيطالي لها، سبقها مرقبة محلية لولاة العهد العثماني الثاني الذين عينوا خلال هذا العهد فأيدوا المخلصين منهم وقاوموا المتخاذلين منهم لا سيما المؤيدين للايطاليين.[1]

4–العهد العثماني الثاني: عهد الباشاوات " 1835– 1911م":

امتد هذا العهد 76 سنة تولى إدارة الولاية 33 واليا استمر بعضهم قرابة سنة واحدة وحكم بعضهم الآخر سنوات عدة ولم يكن ولاة هذا العهد بأفضل سابقيهم من الولاة العثمانيين باستثناء الواليين أحمد راسم باشا ورجب باشا.[2]

تفيد المصادر التركية الحديثة ان ولاية ليبيا خلال هذه الترة شهدت تولي ولاة أكفاء امتازوا بالخبرة الإدارية والكفاءة العسكرية فاخلص بعضهم لمهمته وقاوم بشدة التغلغل الأوربي المتزايد، كما أن الدولة العثمانية شددت رقابتها على الولاة وعاقبت المسيء منهم.

وفق العثمانيون في تدخلهم المباشر في ولاية ليبيا ومساهمتهم في القضاء على الأسرة القرمانلية وتمكنهم من انهاء الصراع العائلي وعمل على ايقاظ روح المنافسة الأوربية، ولم يكن العثمانيون خلال

[1]- محمود علي عامر، محمد خير فارس: المرجع السابق، ص 236.

[2]– أتوري روسي: المصدر السابق، ص 376.

المراحل الأولى يسيطرون إلا على المناطق الساحلية من الولاية ولم يتمكنوا من اخضاعها بصورة كاملة حتى عام 1858م فقضوا بذلك على النزاعات والزعامات البدوية الاستقلالية والثورات التي لا تهدأ.

عمل مصطفى نجيب بعد اعتقاله لعلي باشا على الاهتمام بالولاية كما لاحق محمد باشا القرمانلي وقتله ونفى اخاه إلى مالطة وفرض عقوبات صارمة بحق المخالفين .

في نهاية 1835م عزل مصطفى نجيب باشا وخلفه محمد رائف باشا لكنه عزل وعين مكانه طاهر باشا بإدارة الولاية نتيجة الثورات المحلية التي عمت المدن الليبية وأن الصحافة الأوربية حملت الأتراك مسؤولية الفوضى التي تعصف بها.

عمل طاهر باشا على اخماد الثورات التي انتشرت في البلاد ورغم قصر مدته في الحكم إلا انه ترك آثارا جيدة فقد بنى قصرا للحكومة في مصراته وعامل الهالي بما فيهم الثائرين معاملة حسنة حتى يكفوا عنها وبنى دارا خاصة بحريم الولاية في طرابلس.[1]

وفي عام 1837 عين الجشمه لي حسن باشا واليا على ليبيا وقد كانت البلاد تواجه وباء الطاعون الذي عم مختلف أرجائها وهلك أناس كثيرون وقد بلغ عددهم 80700 تقريبا، وقد حاول حسن باشا اتباع سياسة اللين محاولا كسب الثائرين وتعهد لهم الحصول على الأمان من السلطان لكن الثوار ازدادوا عنفا فلجا حسن باشا إلى العنف فوجه ضربات شديدة وقاسية، مما أدى إلى استياء إسطنبول من فشل الوالي فتم استدعاؤه في سبتمبر 1838م وتم تعيين علي عشقر باشا الذي اعتمد باب التفاوض مع المتمردين بغية ايقال القتال وحقن الدماء ونظرا لحنكته من بسط السلام على المنطقة لكن العداء استأنف وتحول إلى قتال دام، فسئم عشقر باشا من الأوضاع المتردية وقرر اتباع منهج حربي جديد في قتال الثائرين، لكن الباشا عشقر تم اسادعاؤه إلى إسطنبول في عام 1842م وخلفه محمد أمين باشا الذي امتاز بالحكمة والدهاء ولهذا عدت فترة ولايته من اكثر الفترات هدوءا واستقرارا وهذا ما ساعده على انجاز مشاريع عمرانية واقتصادية خلدت اسمه في تاريخ ليبيا الحديث.[2]

[1]- أتوري روسي: المصدر السابق، ص 377.

[2]- elàl Tevfik Karasapan, p 145

انصرف أيضا محمد أمين باشا إلى تنظيم أمور الولاية تنظيما إداريا جيدا فشكل الالوية والأقضية والنواحي واستمر تنظيمه الإداري معمولا به حتى عام 1911م، كما اقام مستشفى وزوده بمختلف صنوف الأدوية والعقاقير اللازمة، كما أنشأ منطقة سكنية واطلق عليها اسم الآثار المجيدية تيمنا بالسلطان عبد المجيد.[1]

وفي سنة 1846م عزل محمد أمين باشا وعين مكانه محمد راغب باشا وقد عرف بالحكمة والعدل فعمل على تطبيق النظام ولاحق المشاغبين، وفي عام 1848م عين الوزير أحمد عزت باشا واليا وقد عرف بالحكمة والعدل فاهتم بالناحيتين العمرانية والزراعية، بعدها تم تعيين مصطفى نوري باشا بدلا منه منه عام 1851م الذي لاحق المشاغبين ومثيري الفوضى، لكنه عزل أيضا فخلفه عام 1857م أحمد عزت باشا للمرة الثانية وكعادته اهتم بتنظيم الولاية إداريا وحض الأهالي على ارسال أبنائهم إلى المدارس التي شيدها في الولاية، كما أسس مكاتب الرشدية ودائرة للبريد، وعدت فترة حكمه التي استمرت ثلاث سنوات من اكثرها هدوءا واستقرارا، فقد توافد التجار الاوربيون إلى الولاية فغمرت بالبضائع ونشطت التجارة الداخلية كما انصرف إلى تعمير المناطق الزراعية فشجع الزراعة والمزارعين ودعمهم بمختلف الوسائل،[2] وقد عرفت ليبيا تطور في الأنظمة الإدارية وجهزت بجهاز قضائي ساعد الولاة على إقامة محاكم في بعض المدن الرئيسة وفي الفترة الواقعة ما بين 1864م – 1882م عين عليها ما يزيد على 12 واليا تميزت فترتهم بالقصر ومنهم من عين مرتين.

عد المشير علي رضا باشا من أبرز هؤلاء الذي تميز بالنشاط وقد اهتم بالزراعة وخفف الضرائب على الفلاحين ودعمهم بالقروض، كما اهتم بالصناعة وأمن للصناعات الحرفية المحلية الآلات اللازمة لها وشق الطرق ونظم البريد بين مختلف المدن، وقد تزامن اهتمام الولاة العثمانيين مع تزايد النفوذ الأوربي بممالك الدولة العثمانية عامة وولايات الشمال الافريقي خاصة، ولمس الأهالي الخطر الأوربي بعد التحرشات الفرنسية بتونس واستعدادها فعليا لاحتلالها مدعية قيام قبائل خمير بالاعتداء على الحدود

[1]- محمود علي عامر، محمد خير فارس: المرجع السابق، ص 242، أحمد النائب: المنهل العذب، ص 355.

[2]– أحمد النائب: المصدر السابق، ص 374– محمود علي عامر، محمد خير فارس: المرجع السابق، ص 242

الجزائرية وارغام الباي على توقيع معاهدة باردو فازدادت مخاوف الليبيين فطالبوا الباب العالي بمساعدة توس في محنتها.

اثر احتلال فرنسا لتونس عام 1881م كلفت الدولة العثمانية الوالي احمد راسم باشا بتولي إدارة ولاية ليبيا وعهدت إليه مهمة حمايتها من الخطر الأوربي المحدق بها وقد استمر 12 سنة في الحكم حقق خلالها تطور ثقافي وقومي بارز كما تصدى بحزم للايطاليين الراغبين على استحواذها ودرب الأهالي على السلاح وفتح 36 مدرسة كما أنشا المدارس الصناعية لتعليم الأيتام كما حذر القبائل القاطنة من التعدي وتجاوز الحدود كما اهتم بالزراعة وقد أدخل أشجار القهوة وشجع تربية دودة القز وامن لهم غرس أشجار التوت، وأقام القصور في الأقضية والنواحي كما أقام الفنادق في المدن وحفر الآبار وزودها بالآلات البخارية الحديثة.

منع أحمد باشا ضباطه من ارسال أولادهم إلى المدارس الأجنبية لتعليمهم فيها، كما حذر الأهالي من التعامل مع الأجانب وبيع املاكهم او الاستقراض من بنك روما وفي عام 1897م توفي الوالي احمد راسم باشا فبكاه الجميع بكاء مرا.[1]

في عام 1898م كلف نامق باشا بإدارة الولاية وسار على نهج أحمد باشا من ناحية توعية الأهالي وتشجيعهم على طلب العلم وتدريبهم على السلاح اتصل بزعماء الحركة السنوسية وأفسح لهم المجال لإقامة زواياهم في مختلف المناطق، كما اهتم بالطباعة وأسس جريدة الترقي، وقد تلقى الوالي نامق باشا تقدير السلطان عبد الحميد الثاني وقلده رتبة الوزارة السامية في منشور عال سلطاني صدر في اوت 1898م، ثم خلفه هاشم باشا صهر السلطان عبد الحميد ولم يقم باي عمل يستحق الذكر والثناء وجل ما فعله جمع الأموال وراقب معارضي السلطان عبد الحميد وبقي مدة سنتين ثم خلفه عام 1900م الوالي حافظ باشا الذي يعد من جملة الولاة الذين خدموا الولاية بإخلاص حيث اقتدى بالوالي احمد راسم باشا في تنظيم الأمور جرد القولوغلية من الامتيازات التي تمتعت بها فترة طويلة، وحين رفعوا عصا الطاعة ضربهم بشدة بغية اقتلاعهم من الولاية واراح المواطنين من تجاوزاتهم عام 1902م.[2]

---

[1]- محمود علي عامر، محمد خير فارس: المرجع السابق، ص 246.

[2]– أحمد صدقي الدجاني: ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي، طرابلس، 1971، " د ت"، ص 160.

كما انشأ حافظ باشا فرعا لبك الزراعة مهمته مد القروض للمزارعين بدل من استدانتهم من بنط روما، اكما اهتم بالتعليم وتاسيس المدارس الابتدائية ودار المعلمين للبنات وعاقب الضباط الذين يرسلون أبناءهم للمدارس الأجنبية، خلفه حسن حسني باشا ولكنه مرض فخلفه رجب باشا عام 1904م اذي قاوم بقوة التغلغل الإيطالي وقام بتوعية المواطنين فنشر التعليم وافتتح المدارس لتدريب الفتيات على اعمال الخياطة والتطريز والعزف على البيانو وانشأ سوقا تجاريا سماه المشير، كما فتح مشفى للأهالي وفي عام 1908م[1] خلفه احمد فوزي الذي سلك نهج رجب في مقاومة التدخل الإيطالي وطالب بإغلاق بنك روما كما انار مدينة طرابلس بالكهرباء وفي عهده دخلت السيارة إلى الولاية، وخلال ولايته ازداد النفوذ الإيطالي وأبعد كل شخص معاد لهم فتصرف هؤلاء بالولاية وكأنهم حكامها الحقيقيون، إلا أنه عزل عام 1910م وعين مكانه إبراهيم أدهم باشا وقد كان قائد القوات العسكرية في الولاية وعرف عنه النزاهة والإخلاص فقد تصدى للايطاليين وهددهم باللجوء إلى السلاح اذا استمروا في تدخلهم، كما أقام معملا لصناعة السلاح والذخيرة، ثم عين نشأت بك وفي عهده سقطت مدينة طرابلس في 27 سبتمبر 1911م.[2]

وفي عام 1912م أبرم الصلح بين تركيا وإيطاليا واعترفت تركيا رسميا بموجب معاهدة أوشي لوزان بالحماية الإيطالية على ليبيا.

5-الإدارة العثمانية في ليبيا:

أ-التقسيمات الإدارية: قسمت ليبيا عام 1843م إلى قسمين متميزين هما: ولاية طرابلس ومتصرفية بنغازي .

حمل حكام طرابلس وقورنية ألقابا مثل " الوالي " و" المتصرف " والأخير يأتي في لمرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد الوالي أما الوالي فيساعده مجلس استشاري " مجلس إدارة " مؤلف من رئيس القضاة والمفتي،

[1]- أحمد صدقي الدجاني: المرجع السابق،ص 161.

[2]- محمود علي عامر، محمد خير فارس: المرجع السابق، ص 249.

والمكتبجي " رئيس الأمناء" والدفتر دار " رئيس البلدية " وستة قناصل غير مأجورين ينتخبون كل سنتين من قبل سكان الولاية ويتعامل المجلس الاستشاري مع القضايا المالية القضايا والقانونية والمدينة.

قسمت ولاية طرابلس إلى أربع متصرفات أو ضاجق هي: طرابلس، الخمس، الجبل الغربي" مركز يفرن"، فزان " مركز مرزوق"، وقسمت كل متصرفية إلى نواح والنواحي إلى مراكز، ويسمى رؤساء المتصرفيات " المتصرفين" وكان قائموا المقام رؤساء للقائمقائية ورؤساء النواحي.

ضمنت متصرفية طرابلس عدة قائمقامية هي: طرابلس، الزاوية، العجيلات، زوارة، الساحل، المنشية، علوانة، شيميك، مزوه، وبلغ عدد سكانها 275.000 نسمة تقريبا.

وضمنت متصرفية الخمس عدة قائمقاميات هي: الخمس، مصلاته " مسلاته"، بمقعد في القصيبات، زليطن، مصراته، سرت وناحية تاورغه، وبلغ عدد سكانها 130.000 نسمة.

وضمنت متصرفية الجبل الغربي قائمقاميات: يفرن، فساطو، الهود، الجوش، نالوت وغدامس مع عدة نواح هي: سابا، زينتان، ككلا، مسدا، وبلغ عدد سكانها: 100.000 نسمة.[1]

أما متصرفية فزان ومركزها مرزوق فضمت القائمقاميات التالية: الشيانة، سوكنه، غات ونواحي: صيحة، الجفرة الشرقية، وادي الغرب، وادي عتبه، وادي ظلله، فرطون، سبها، هو، ودان، وبلغ عدد سكانه 70.000 نسمة.

أما متصرفية بنغازي فضمت ثلاث قائمقاميات: درنه، المرج، جالو، وأضيفت اليها غيحاب وطبرق، وفي 1910م أسست قائمقامية إضافية هي الجغبوب، ومن النواحي التي اتبعت إليها: سلوق، قمينس، اجدابية، توكرا، برسيس، عبيد، سيرا، سلنط، وكانت نواحي موسى بردي تحت سلطة لواء قائمقامية طبرق، ونواحي قبائل زوايا ومغاربة تابعة للواء قائمقامية جالو، وبلغ عدد سكانها الإجمالي 230.000 نسمة تقريبا.

[1]- محمود علي عامر، محمد خير فارس: المرجع السابق: ص ص250-251.

أما ديوان الايالة فمهمته مساعدة أمير الأمراء في الإدارة، وطرأت عليه متغيرات تناسبت ومرحلة التنظيمات الخيرية ووزعت مهماته على النحو التالي:

1-البكلربكي: وهو يترأس قيادة إدارة الولاية قبل التنظيمات وبعدها، ويعين من قبل السلطان.

2-البك: ويتولى قيادة القوات العسكرية وكان قبل التنظيمات يلقب بآغا الانكشارية.

3- القاضي: ومهمته الفصل في الأمور القضائية ويعين من قبل استانبول ويعين غالبا لمدة سنتين.

4-دفتر دار: كان سابقا يعرف بمسؤول بيت المال، وفيما بعد عرف بالدفتر دار

طبقت الدولة العثمانية نظام " السالينات" أي المعاشات، ولم تتمكن من تطبيق نظام الإقطاعي الأرضي، ووجدت فيها أملاك وقف وأراض أميرية.[1]

أملاك الوقف: خصص ريعها للأملاك الخيرية كبناء المساجد ودور الحديث وتعليم القرآن، وقسمت أملاك الوقف إلى قسمين: وقف خيري: وهي أملاك يحدد ريعها للأعمال الخيرية مثال أملاك مراد آغا.

وقف ذري: وهي أملاك يحدد ريعها لذرية مالكها، كأملاك الريس طرغوث باشا.

أما ديوان الايالة فمهمته مساعدة امير الأمراء في الإدارة وطرأت عليه متغيرات تناسبت ومرحلة التنظيمات الخيرية ووزعت مهامه على النحو التالي:

1-البكلربكي: وهو يترأس إدارة الولاية قبل التنظيمات وبعدها ويعين من قبل السلطان

2-البك: ويتولى قيادة القوات العسكرية، وكان قبل التنظيمات يلقب بآغا الانكشارية.

3-القاضي: ومهمته الفصل في الأمور القضائية ويعين من قبل استانبول ويعين غالبا لمدة سنتين.

4- دفتردار: وكان سابقا يعرف بمسؤول بيت المال، وفيما بعد عرف بالدفتردار.

كما طبقت الدولة العثمانية نظام " السالیانات " أي المعاشات، ولم تتمكن من تطبيق نظام الاقطاعي للأراضي ووجدت فيها أملاك وقف وأراض أميرية.

[1]- محمود علي عامر، محمد خير فارس: المرجع السابق: ص 252.

أملاك الوقف: خصص ريعها للأملاك الخيرية كبناء المساجد ودور الحديث وتعليم القرآن، وقسمت أملاك الوقف إلى قسمين: وقف خيري: وهي أملاك يحدد ربعها للأعمال الخيرية مثال أملاك مراد آغا.

وقف ذري: وهي أملاك يحدد ريعها لدرية مالكها كأملاك الريس طرغوث باشا.

أما الأراضي الأميرية فخصصت مواردها لخزانة الدولة، وكانت الأراضي الأميرية في ولاية ليبيا قليلة جدا لذلك عمدت الدولة العثمانية إلى تحويل ممتلكات الولاية إلى أراض أميرية. [1]

ب- النظام المالي:

ضريبة الوركو: وهي ضريبة شخصية تتضمن شخصية مقدارها 40 قرشا على الذكور البالغين وضريبة على الحيوان مقدارها " 40 " قرشا عن كل جمل و20 قرشا عن كل ثور أو بقرة، و4 قروش عن كل رأس غنم وقرشان عن كل رأس ماعز، أما ضريبة الشجرة فمقدارها قرش ونصف عن كل شجرة نخيل أو زيتون، أما باقي أشجار الفاكهة فأعفيت من الضرائب لندرتها ولأن ولاة ليبيا سعوا جاهدين إلى تشجيع الأهالي لزراعتها، وهناك ضريبة مقدارها 15 قرشا عن كل بئر يستخدم لري الأرض.

يفترض استبدال ضريبة الوركو[2] بضريبة التمتع وذلك عقب الإصلاح المالي لسنة 1903م إلا أنه لم يطبق لأسباب غير معروفة، كما فرض العثمانيون على الولايات التي خضعت لسلطانهم كما هائلا من الضرائب، ولكنهم فرضوا ضرائب متفاوتة ما بين ولاية وولاية.

كما تنوعت ضرائبهم طبقا للولاية وإنتاجها الزراعي وثورتها الحيوانية أما فيما يخص يتعلق بالمزروعات فحددوا ضريبتها بالعشر، وكانت الضرائب تزداد قيمتها حسب الموقف الاقتصادي والعجز المالي للخزينة العامة فضريبة الأشجار كانت نقدية، أما ضريبة العشر المفروضة على نبات الحلفا " عشب اسبارطي"

أما ضريبة الاعفاء من الخدمة العسكرية فقد فرضت بشكل رئيس على رعاياها المسلمين وألزمتهم الدولة بدفعها باسم " بدالة عسكرية "، وهناك ضريبة الاختبار وختم المصاغات خاصة الذهب والفضة،

---

[1]- محمود علي عامر، محمد خير فارس: المرجع السابق: ص ص 252- 253.

[2]- الوركو: كلمة تركية الأصل " vergi" ومعناها ضريبة .

وهناك رسوم بيع الممتلكات فكانت عبارة عن صكوك نقل ملكية المتاع، وهناك أيضا ضريبة ملكية المباني والأرض التي تؤجر للمقيمين من الرعايا الأجانب.[1]

ج–النظام القضائي:

كان النظام القضائي العثماني مشكلا على النحو التالي:

أقيم إلى جانب المحاكم الشرعية التي تطبق القانون الديني فقط عدالة مملثة بالمحاكم التالية والمعروفة باسم نظامية:

1–محكمة الصلح " محكمة السلام" اختصاصها القرى والنواحي وقضاتها قضاة صلح.

2–محكمة بدائية وهي محكمة الدرجة الأولى.

3–محكمة الجنايات: المحكمة الدورية[2]

4–محكمة استئناف

5–محكمة التمييز ومقرها استانبول.

وتتألف المحكمة في كل ضجق من قاضي تحقيق وقاضي تنفيذ في حين خصص لمدينة طرابلس قاضيان للتحقيق.

1–محكمة الاستئناف: مقرها مدينة طرابلس اختصاصاتها ولاية طرابلس ومتصرفية بنغازي وتتألف من ثلاثة أقسام قضاء مدني، قضاء جنائي، قضاة اتهامي، وتتألف من رئيسين وعشرة قضاة منهم إضافيان.

2–المحكمة التجارية: مقرها مدينة طرابلس الغرب ومجال اختصاصها ولاية طرابلس والأقضية التابعة لها، كما أقيم في بنغازي محكمة تجارية لكنها لا تملك مسألة البت في القضايا الكبرى.

---

[1]- محمود علي عامر، محمد خير فارس: المرجع السابق: ص ص 253–254.

[2]– نفسه: ص ص 256– 257.

3-محكمة النقص: ونظرا لكثرة الأوربيين الذين قدموا إلى الولاية واستقروا فيها لممارسة الاعمال التجارية وما شابهها من قيام منازعات ما بين الأوربيين أنفسهم وما بين الليبيين وضعت لها الدولة العثمانية أسسا وأنظمة لتسوية مثل تلك المنازعات.[1]

المحاضرة التاسعة: علاقات الأقطار المغاربية الخارجية " المشرق العربي، إفريقيا، أوربا"

1-الجزائر:

أ-مع افريقيا:

كانت العلاقات السياسية على المستوى المغاربي متوترة في اكثر فترات تاريخ بلاد بلاد المغرب فقلما كانت العلاقات ودية او حسنة أو على الأقل إدراك خطورة التديات الغربية، ولقد كانت الجزائر تعتبر تونس اقليما تابعا لها وكانت تونس ترفض ذلك، كما كان لتونس أطماع في قسنطينة إذ تعتبر نفسها الوارث الشرعي للعهد الحفصي، أما المغرب الأقصى فقد كان ينظر إلى الجزائر على انها تشكل خطرا عليه ينبغي تفاديه بكل الوسائل حتى ولو اقتضى التحالف مع الغرب، كما أن للمغرب أيضا أطماع قديمة في تلمسان فقد ظهرت مؤامرات كثيرة بين البلدان المغربية من أبرزها اشتراك تونس والمغرب الأقصى وتونس في حملة عسكرية زحفت من تونس إلى قسنطينة عام 1702م، بينما زحف حاكم المغرب إسماعيل إلى تلمسان فتصدى الداي الحاج مصطفى لباي تونس وهزمه في قلعة سنان وطارد قواته إلى حدود تونس ثم اتجه إلى حاكم المغرب وواجه في جديوية قرب الأصنام وهزمه، وهكذا ظلت هذه الحوادث مستمرة إلى أن بدأت التحالفات الأوربية تتهيأ لاقتسام ما يسمى بممتلكات الرجل المريض.[2]

---

[1]- محمود علي عامر، محمد خير فارس: المرجع السابق: ص ص 257-258.

[2]- صالح فركوس: المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين " 814 ق.م – 1962"، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، 2002، ص 109.

ب–على المستوى الأوربي:

كان للجزائر خاصة في عهد البايلربايات مكانة دولية مرموقة جعل الكثير من الدول الأوربية تحسب لها حسابا كبيرا وتدفع لها الضرائب وتقدم لها الهدايا فالولايات المتحدة الأمريكية مثلا كانت تدفع عشرة آلاف دولار نقدا وهدايا قنصلية قيمتها بحوالي 04 آلاف دولار، وبريطانيا كانت تقدم هدايا قنصلية تقدر بحوالي 600 جنيه، أما فرنسا حوال 600 ليرة، ومملكة صقلية حوالي 6000 ريال، ونفس المقدار أو ما يقاربه كانت تدفعه السويد والنرويج وجمهورية البندقية حوالي 30 الف ونصف دورو جزائري بالإضافة إلى ما كانت تدفعه دول أخرى إلى خزينة الجزائر.

أما الاسبان فقد استمرت حملاتهم الصليبية على الجزائر نذكر على سبيل المثال حملة عام 1770م التي منيت بهزيمة نكراء بشاطئ الحراش ثم تلتها غارة ثانية من اعظم الغارات الصليبية هي حملة " أوريللي" عام 1775م التي أصيبت هي الأخرى بفشل ذريع، ثم جاءت بعدها حملة عام 1784م التي لقيت نفس المصير، وظل الاسبان بمدينة وهران والمرسى الكبير يعيثون فسادا ويشكلون خطرا كبيرا على محدة البلاد.

ولقد نجح الباي محمد بن عثمان الكردي الملقب ب" محمد الكبير" والذي عاصر الداي محمد بن عثمان باشا في الربع الأخير من القرن 18م بتشجيع ودعم من طرف هذا الداي الفاضل هذا الفتح المبين بعد تعبئة الجماهير والعلماء وكل القوات. [1]

[1]- صالح فركوس: المرجع السابق، ص 111– للمزيد أيضا ينظر: جون وولف: الجزائر وأوربا " 1500–1830"، تر: أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، دار الرائد، 2009، يحي بوعزيز: علاقات الجزائر الخارجية مع دول ومماليك أوربا " 1500–1830"، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009، أمين محرز: الجزائر في عهد الأغوات " 1659– 1671"، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2011.

2-طرابلس الغرب:

أ-مع افريقيا والمشرق العربي:

عرفت العلاقات بين طرابلس ودول الجوار حالات سلم من جهة وتهديد وحرب من جهة أخرى وهذا ماوقع في شهر جوان من عام 1742 حيما انتهك احمد القرمانلي حرمة الضيافة واقترف جريمة شنعاء تجاه الحاج محمد وهو نجل داي الجزائر وصهر إبراهيم، فكان الحاج محمد في طريق عودته من أداء فريضة الحج فنزل عند أبواب مدينة طرابلس وخيم بقافلته هناك فهوجم أثناء الليل وتم اغتياله هو وجميع الحرس، ولقد غنم أحمد القرمانلي من وراء ذلك 200 من الجياد ذات السروج الرائعة و250 جملا وحوالي 500 قطعة من عملة " السكين " البندقية، وفي اعقاب هذه الجريمة النكراء وردت من تونس والجزائر خطابات تهديد ووعيد تنذر بعزم هاتين الايالتين على التواطؤ معا لشن حملة ضد طرابلس، فأصدر احمد القرمانلي أوامره بالتأهب للمقاومة في كل مكان غير أن الأمور توقفت عند ذلك الحد.[1]

عرفت طرابلس في عام 1785م فرسية للمجاعات ولم يحرك جيرانها التونسيون ساكنا لانتشالها من كربتها بسبب العداء الذي كان لها معهم وكان المدعو مصطفى الطامع في عرش طرابلس والذي كان ما يزال الباشا يتعقبه للانتقام منه قد علم بان مؤامرة تحاك لاغتياله، فغادر جبال طرابلس التي استلاذ بها متوجها عن طريق غدامس وأورغله إلى بسكره، ومنها ولج إلى تونس ومن حسن حظه أنه أفلت في الوقت المناسب، لأن رفيقه المخلص المدعو العزابي قد وقع في يد أحد القتلة الماجورين، حيث طارده حتى قبض عليه ومن ثم اقتاده إلى القلعة التي أمضى ثلاثة أيام عذب أثناءها أشد العذاب ثم شنق عند باب المدينة، اما مصطفى فلقد لقي لدى وصوله تونس كل تقدير واحترام، فلقد كانت تونس تعول عليه في حالة نشوب حرب بينها وبين طرابلس، وهذا هو نفس ما فعلته الجزائر بالنسبة لتونس

[1]- شارل فيرو: الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، ترجمة وتحقيق: محمد عبد الكريم الوافي، ط3، منشورات جامعة قار يونس ، 1994، ص ص 299-300.

عندما منحت حق اللجوء إليها ولأولاد أحد المطالبين في عرشها، وذلك لكي يظلوا خطرا مائلا امامها ويمكن استعمالهم ضد دايها في حالة تجرؤا على إساءة علاقاته مع داي الجزائر[1]

ب–مع أوربا:

لقد عقدت ليبيا عدة معاهدات مع دول أوربا فخلال عهد الأسرة القرمانلية وصلت في 12 سبتمبر عام 1712م إلى مرسى طرابلس ثلاث سفن حربية هولندية قادها نائب الاميرال بيترسون وكانت المعادة التي تم ابرامها في الماضي بين أصحاب السلطة في طرابلس وبين هولندا في عام 1683م قد فسخت منذ 10 سنوات خلت وذلك عقب طرد القنصل الهولندي "كونفير" عام 1693م، ثم جددت المعاهدة عام 1703م بحسب الشروط المبدئية التي قبل بها المبعوث الهولندي اليهودي " يهودا كوهين" وكتمهيد للمفاوضات قدم بيترسون لأحمد القرمنلي 100 قنطار من البارود وأربعة مدافع برونزية وأربعة كابلات وساعات حائطية.[2]

كما وصلت سفينة من جنوة بحجة شحن الملح إلا أنه في حقيقة الأمر كان موفد في مهمة سرية للتقدم بعروض سلمية هو الآخر وقد اهدى ذلك القبطان الإيطالي للقرمانلي 4000 قطعة ذهبية، وكمية كبيرة من العتاد الحربي ووعد بأن يثني باهدائه سفينة مزودة 56 مدفعا.

وفي 21جويلية 1714م وصلت سفينة فرنسية تسمى "الجوهرة " التي يقودها القبطان " دوكين " من اجل استرجاع إحدى السفن التجارية وشحنتها، وكان من نتائج الزيارة أن أرسل إلى باريس أحد أعضاء الديوان كمندوب لبلاده واصطحب معه فرسين وخمسة جياد وعدد من النعامات والغزلان وكلاب الصيد السلوقية والصقور هدية إلى ملك فرنسا.

كما قدم إلى المرسى أسطول انجليزي مؤلف من خمس سفن جاءت للتصديق على المعاهدات والاتفاقيات مع طرابلس، وفي شهر مارس عام 1720م توجه مندوب آخر من طرابلس مجددا للعمل على الحفاظ حالة السلم بين البلدين وقد أبرمت معاهدة جديدة في شهر جويلية عام 1720م وبعد

[1]- شارل فيرو: المصدر السابق، ص 336.

[2]– نفسه: ص 414.

مرور شهرين وصل إلى ميناء طرابلس الماركيز " دي فارين " على رأس فرقة بحرية مشكلة من ثلاث سفن حيث قام الباشا أحمد القرمانلي بتحية العلم الفرنسي مطلقا 29 طلقة مدفع، إلا ان العداء كان يظهر بين البلدين في كثير من الأحيان حيث وقعت العديد من الاتفاقيات بين الجانبين كما حدث عام 1727 ثم عام 1729، 1731 وغيرها.

وبعد ذلك وقعت جمهورية البندقية معاهدة صلح مع طرابلس والتزم البندقيون بأن يدفعوا للايالة إتاوة سنوية مقدارها 6 آلاف سكين بندقي أي ما يعادل 72 ألف ليرة عثمانية.[1]

أما البحرية العسكرية فقد كانت تتضمن سفينة "كابتينا " ذات 22 مدفع و100 رجل، وسفينة باترونا ذات 20 مدفع، و3 سفن من نوع بريقانتين و5 غليوطات و10 زوارق وتتكون في مجموعها من 136 مدفع و1400 رجل.[2]

وفي سنة 1784م فتحت اسبانيا اول قنصلية لها في طرابلس إذ أن هذه الدولة التي ظلت على عداء مستمر مع المسلمين طيلة عدة قرون، قد انتهى بها الأمر إلى ابرام معاهدة صلح مع الباب العالي العثماني في تلك الفترة، ويؤكد البعض أن ذلك الصلح كلف الاسبان ثمنا باهضا حيث قدر بثلاثة ملايين دولار، زيادة عما دفع لسلطان طرابلس فلقد قدر ماسة واحدة أرسلت هدية إلى باشا طرابلس ب500دولار.[3]

3-تونس:

أ-مع المشرق العربي وافريقيا:

عرفت علاقات تونس مع دول الجوار تدهورا وتوتر متزايد وذلك منذ عام 1735م وفيها جاءت عساكر صاحب الجزائر إلى تونس لتمهد له السبيل إلى العرش لكن صرامة علي باشا في كل ما يتعلق

[1]- شارل فيرو: المصدر السابق: ص ص 414- 416.

[2]- شارل فيرو : المصدر السابق، ص ص 414- 417.

[3]- نفسه: ص 335.

بشؤون السيادة من جهة ومطالبة أتراك الجزائر إياه بدفع ضريبة سنوية واللهجة الآمرة التي كانوا يخاطبونه بها من جهة أخرى أدت إلى المصادمة ثم القطيعة بعد سنة 1740م.

فقد تحركت سنة 1746م للمرة الأولى حملة جزائرية في اتجاه مدينة تونس ولكنها أخفقت أمام أسوار مدينة الكاف ثم إن حملة أخرى بعد ذلك بعشر سنين أفضت إلى احتلال تونس وتعرضت على اثرها للنهب وإلى إقصاء علي باشا عن الحكم وتعويضه بمحمد وعلي ابني عمه حسين بن علي في سبتمبر 1756م.

وقد كان لهذا الحادث أثر فعلى مدى خمسين سنة وجب على باي تونس الاعتراف بسيادة داي الجزائر " فكان الباي ينفذ أوامره ويدفع له ضريبة مقنعة".

وقد قام حمودة باشا بتقوية الجيش والمدفعية وأعاد أسوار الكاف كما أصلح مدينة تونس وبقي يتحين الفرص وقد اندلعت بالجزائر ما بين 1803- 1805 انتفاضات عنيفة هزت أركان الحكم العثماني واعقبتها خلافات داخلية بين المسيرين فانتهز باي تونس تلك الظروف للتخلص من هيمنة داي الجزائر ولرفض ما كان يمليه عليه من أوامر وما يطلبه من اتاوات.

واتفق ان كان باي قسنطينة السابق مصطفى انقليز قد فر إلى تونس مستنجدا بحمودة باشا فجهز الباي عسكره النظامي ووجهه نحو مدينة قسنطينة افتكاكها وجعلها من جديد تحت حكم الباي المعزول لكن جنود الجزائر تصدى له فهزمه وأصبح التراب التونسي مرة أخرى معرضا لغزو وشيك.

لكن الباي جمع رؤساء القبائل ومن عسكريين محترفين فكسر زحف الجزائر على الحدود على ضفاف وادي سراط عام 1808م فكان الانتصار حاسما إذ تحرر باي تونس نهائيا من وصاية داي الجزائر [1].

[1]- محمد الهادي الشريف: المرجع السابق، ص ص 86- 91.

نفس الشيء مع طرابلس فقد وجه حمودة باشا حملة من أجل استرجاع جربة التي استولى عليها " علي برغل " عام 1793م، ولم يكتف حمودة باشا باسترجاع جربة بل وجه جيشا قويا نحو طرابلس فاسترجعها واعادها إلى عائلة القرمانلي المسالمة عام 1794م. [1]

اضطرت تونس إلى عقد العديد من الاتفاقيات مع الدول الأوربية في عهد الأسرة الحسينية بسبب الحروب التي خاضتها مع تلك الدول ومنها الحرب التي اندلعت مع فرنسا عام 1742 نتيجة استيلاء علي باشا على مركز "كاب نيقرو " أو " تامكرت" التجاري الذي كان يشغله التجار الفرنسيون شرقي طبرقة فقام بتدميره فاغتاطت السلطة الفرنسية فاندلت الحرب وانتهى الأمر إلى ابرام معاهدة صلح في نوفمبر 1742م فقبلت فرنسا بمقتضتها جانبا كبيرا من شروط علي باشا ثم سرعان ما رجعت العلاقات المتينة والمتواصلة بين الطرفين لما كان بينهما من مصالح تجارية مشتركة.[2]

ربطت تونس علاقات مع العديد من الدول ومنها دول اوربا الغربية وبالخصوص " فرنسا، بريطانيا وغيرها فمنذ أواسط القرن 19م بدأت هذه الدول في تحويل كميات كبيرة من المنتوجات المصنعة، وقد مكنتها المعاهدات غير المتساوية المبرمة مع بايات تونس من فرض بضاعتها في السوق التونسية إلا أن الصناعة الأوربية لم تقتصر على ترويج المنتوجات الأوربية الخالصة بل أخذت أيضا في تقليد بعض منتوجات الصناعات التقليدية التونسية.

فقد لاحظ بيليسي منذ عام 1853م في كتابه " وصف الايالة التونسية" أن المعادن والأسلحة وجميع المصنوعات تقريبا وكثيرا من الآلات المستعملة في الميدان الزراعي تاتي من الخارج كما أشار غولفان إلى أن الأسلحة المنقوشة المطرقة والمتسلسلة مكدسة بالأسواق التونسية.[3]

كما فرضت الشاشية الفرنسية وكذلك النمساوية نفسها وذلك قبل كل شيء بثمنها الذي هو دون ثمن الشاشية المحلية، ونفس الشيء إلى قطاع النسيج فقد تم توريد كميات كبيرة من النسيج واللباس وخصوصا الأقمشة القطنية الإنجليزية الصنع ثم الفرنسية الصنع كما كانت تباع المربعات الخزفية المصنوعة

[1]- محمد الهادي الشريف: المرجع السابق، ص 90.

[2]- نفسه: ص ص 85-86.

[3]- نفسه: ص 176.

بايطاليا واسبانيا على شاكلة الخزف العربي بأثمان غير قابلة للمزاحمة، وكانت ترد من فرنسا وبلجيكا وغيرها من البلدان الأجنبية أنماط متنوعة من الأدوات المنزلية المصنوعة من الخزف والفخار، كما تدفقت طواقم من موانئ الفخار المصنوعة في اليابان وتشيكوسلوفاكيا.[1]

4-المغرب الأقصى وعلاقاته مع السودان:

كان بين محمد البرتغالي وملوك السودان علاقة وطيدة حيث أن ليون الافريقي صحب عمه في سفارة إلى محمد أسكيا الذي حكم من 1493م إلى 1528م وكان مرورهما عن طريق درعة حوالي عام 1509م وظلت سجلماسة حتى ذلك الوقت مركزا تجاريا عظيما يتبادل تجارها البضائع مع مصر والسودان، وكانت القوافل تسير عن طريق ولاتا وبحيرة تشاد، أما الطريق التي كانت تقطعها القةافل خلال القرون الوسطى بين السودان ومصر عبر طرابلس وفزان فقد اهملت قبل ذلك بأكثر من قرن بسبب تسلط الأعراب.[2]

أ-مع الشرق الإسلامي خلال فترة السعديين والعلويين:

أما العلاقة مع دول الشرق الإسلامي فقد ضعفت عن ذي قبل خصوصا وقد صارت كلها تقريبا تحت سلطة العثمانيين كما اشتد خطر القرصنة المسيحية في عرض البحر المتوسط، ولكن لم يمنع من استمرار التبادل الثقافي وهجرة بعض رجالات المغرب إلى المشرق بقصد الحج أو الاستزادة من المعارف، واحيانا للقيام بمهمة التدريس في تلك الأصقاع وكان ممن شدوا الرحال إلى الشرق " الشيخ زين الدين بن سقين " الذي درس على القلقشندي علوم الحديث وتابع دراسته على يد أبي فهد بمكة وغيره، ثم " محمد عبد الزقاق " الذي درس بمصر على يد ناصر الدين اللقاني وكانت وفاته ضربا بالسياط عام 961هـ.[3]

---

[1]- محمد الهادي الشريف: المرجع السابق ، ص ص 178-179.

[2]- إبراهيم حركات: المرجع السابق... ج02، ص 181.

[3]- نفسه: ص ص 181- 182.

وكان للمنصور السعدي أكثر حكام دولته اهتماما بربط العلاقات مع الدول العربية وكان من جملة من وفد عليه بعد انتصار المغرب في معركة وادي المخازن وفد عن مصر وآخر عن تونس بقصد التهنئة، كان المنصور لبقا فمتن علاقاته بمصر عن طريق استجازة علمائها ليكتسب بذلك مزيدا من السمعة .

وممن ترددوا من المغاربة على البلاد العربية بقصد الدراسة:

محمذ بن علي الدادسي " 999هـ" وقد درس على الصفوي المقدسي

أبو القاسم بن سلطان وهو قسنطيني الأصل وقد درس بالمغرب على أحمد المنجور وبالمشرق على أبي زيد التاجوري وأبي الحسن البكري وغيرهما.

محمد الجزولي الدرعي سفير المنصور " 988هـ" درس على ابن فهد في مكة وعلى محمد العلقمي ونجم الدين الغيطي بمصر.[1]

في سنة 1226هـ / 1811م تلقى السكان خطابا من باي تونس حموده باشا " 1229هـ / 1814م" الذي كان من أبرز بايات تونس وانشطهم في الحفاظ على الشخصية التونسية وتنظيم الإدارة وكانت هذهذه السنة سنة مجاعة بتونس مثلما كانت المجاعة والأوبئة تفتك بآلاف الأشخاص بالمغرب فيما بين " 1810- 1816"، وقد طلب الباي مساعدة الباي مساعدة تونس بالمواد الغذائية التي لم يبخل بها مع ظروفه المشابهة، وكان الوفد التونسي برئاسة العالم الأديب إبراهيم بن عبد القادر الرياحي.

وفي عام 1226هـ/ 1811م تلقى المغرب مذكرة غير مباشرة وجهت من فقهاء تونس إلى فقهاء المغرب بشان الدعوة الوهابية، فأمر العاهل الفقيه حمدون ابن الحاج بالرد عليها وكان الرد إيجابيا لأن الموقف المغربي السني مشابه في كل المبادئ الأساسية للدعوة الوهابية مع اختلاف في الممارسة وإن كان الوهابيون لا يعملون بالعقيدة الأشعرية.[2]

[1]-إبراهيم حركات: المرجع السابق...ج2 ،ص 302.

[2]- نفسه: ص 183.

ب–مع أوربا:

كان للمغرب علاقات مع البرتغال بحكم الجوار من جهة وبحكم الصراع السياسي الذي ظل قائما بينهما لمدة طويلة من جهة أخرى، كذلك كان للمغرب علاقات مع دول أخرى كاسبانيا وفرنسا وغريهما

ج–البرتغال واسبانيا:

بمجرد القضاء على الوطاسيين عقد محمد المهدي ملفا مع الاسبان يتعاونان بموجبه على طرد الأتراك من الجزائر، ولكن عدم تبادل الثقة بين الطرفين لم يضمن أي نتيجة مرضية، وواصل الغالب بالله محالفة الاسبان حيث تمكن بفضل مساعدتهم من احتلال تلمسان لمدة قصيرة " 967هـ/ 1640م"، أما محمد المتوكل فقد حالف البرتغال قبيل معركة وادي المخازن على أن يتخلى لهم عن الموانئ المغربية ويحتفظ هو بالداخل في مقابل مساعدته على استرداد ملكه، ولكن هزيمة البرتغال سنة 986هـ/ 1578م وضم مملكتهم إلى اسبانيا حتى عام 1640م جعل علاقات المغرب مع شبه الجزيرة الايبيرية تدخل في طور جديد، فكان الوفد البرتغالي في مقدمة الوفود التي هنأت المنصور بالانتصار وقدم بهدايا عظيمة إلى المنصور عام 1579م كانت تقودها العربات، كما كانت هدية الوفد الاسباني تنافسها قيمة وكان ضمنها صندوق من الدر ويواقيت وقضبان من الزمرد.[1]

ظلت العلاقة طيبة بين اسبانيا والمغرب طيلة عهد المنصور وتنازلت الأولى عن أصيلا التي سلمتها مع إنجلترا منذ عام 1595م على غزو اسبانيا إلا أن وفاته ووفاة ايزابيث ملكة إنجلترا حالت دون قصده.

وفي عام 1613م استولى الاسبان في عهد فيليب الثالث على المعمورة " المهدية " وقد قام العياشي بدور مجيد في غزو المراكز التي احتلها الاسبان والبرتغال وأمكنه على الأقل أن يحد من توسع هؤلاء، وقد احتفظت اسبانيا بعد استقلال البرتغال عام 1049هـ / 1640م بالعرائش وسبتة والمعمورة، بينما احتفظت البرتغال بالجديدة وطنجة.

[1]– ابراهيم حركات: المرجع السابق... ج2، ص ص 303-304

وفي عهد الدولة العلوية حافظ المغرب علاقاته مع اسبانيا حتى في ظروف ازمة العرش التي عرفها المغرب خلال القرن 18م.

د–مع فرنسا:

لم تكتس العلاقة في هذا العهد بين فرنسا والبلاط السعدي صفة ديبلوماسية على الدوام، فقد تناول أحيانا مسألة تبادل الأسرى أو استخدام بعض الرعايا الفرنسيين كأطباء أو فنيين ومهما يكن فإن العلاقة بين المغرب وفرنسا ترجع إلى أيام علي بن يوسف المرابطي.[1]

وقد بدأ إرسال المبعوثين الرسميين إلى المغرب في عهد الشيخ المهدي حيث قدم إلى المغرب عام 949هـ/ 1543م مبعوث عن فرنسوا الأول ويدعى باكلون جان بغية مفاوضة المهدي في أن يقدم إلى فرنسا كميات من القصدير مقابل المواد اللازمة لصناعة المدافع.

وفي عام 966هـ/ 1559م افتتحت مفاوضات بين عبد الله الغالب وملك نافار حول حلف عسكري بين الطرفين وكان من بين بنود الاتفاق السماح للبواخر الفرنسية بالرسو في الموانئ المغربية مقابل السماح للسفن المغربية بالرسو في موانئ فرنسا، وفي سنة 985هـ/ 1577م عين غيوم بيرارد قنصلا عاما لفرنسا بصفة رسمية لدى عبد الملك المعتصم، وظل بيرارد في نقس الوقت طبيبا رسميا للسلطان إلى غاية وفاته وكانت مهمته السياسية الأساسية هي حماية السفن الفرنسية والتجارة الفرنسية من حركة الجهاد البحري.

تناولت العلاقات السياسية مع الغرب جملة من الميادين التي كانت تشغل من ذي قبل اهتمامات المغرب والأقطار الأخرى المعنية خصوصا قضايا الأسرى مع تناقص أعدادهم بالمغرب تبعا لتقلص نشاط حركة الجهاد البحري، وكذا شؤون التبادل القنصلي والدبلوماسي وتطبيق بنود المعاهدات الثنائية السابقة، علما بأن حركة التبادل التجاري حتى مع نشاطها النسبي تقلصت مع معظم الأطراف الأوربية بسبب المضايقات التي لقيتها السفن المغربية، وبالمقابل نشطت حركة القرصنة الفرنسية فيما بين 1791م –

[1]– ابراهيم حركات: المرجع السابق... ج2، ص 305.

1815م حتى تدخلت وزارة العلاقات الخارجية الفرنسية، كما نشطت العلاقات التجارية بين الجانبين إلى حين توقفها بسبب الحصار المتبادل بين السفن البريطانية والفرنسية.[1]

هـ–مع إنجلترا:

يرجح أن العلاقات التجارية بين البلدين تعود إلى أيام محمد المهدي الشيخ والوطاسيون لا يزالون في الحكم ففي عام 1551م قدمت بواخر بريطانية بقيادة " طوماس ويندهام" فأفرغت مجموعة من الأسلحة والبضائع بآسفي لتوجيهها إلى مراكش ثم تابعت طريقها إلى أغادير حيث افرغت باقي البضائع وحملت شحنات من السكر والتمر واللوز، ثم اتسعت المبادلات التجارية بعد ذلك فبدأت السفت التجارية تجلب إلى المغرب الأسلحة وسائر الثياب الثمينة، في مقابل منتجاتها الخاصة وكان تصدير الأسلحة وبعض قطع السفن موضع انتقاد واحتجاج من لدن بعض دول أوربا خصوصا البرتغال التي كانت تعتبر المغرب من مناطق نفوذها، استمرت العلائق متوترة لمدة طويلة بين إنجلترا والبرتغال بسبب تصدير الأسلحة المذكورة، وتعاونت إنجلترا مع المغرب في الميدان الاقتصادي وأولت البرتغال ذلك بأنه مساعدة عسكرية للمغرب على حساب البرتغال التي تضررت من الضغط على مراكزها بهذه البلاد بسبب تقوية الجيش المغربي.[2]

كما تكاثرت البضائع الإنجليزية بالأسواق المغربية نتيجة لتعاطي عدة أشخاص لمهمة التجارة منم النساجون وصناع وبحارة وغيرهم.

وفي عهد احمد المنصور ازدادت العلاقة تحسنا بين البلدين وقد تم انشاء الشركة المغربية bzrbary company عام 993هـ بقصد احتكار تصدير منتجات المغرب إلى إنجلترا، وقد سجل الكثير من التجار الانجليز مذكراتهم عن حياتهم بالمغرب وتعرضوا لأحداثه السياسية ووضعيته الاجتماعية.[3]

[1]– إبراهيم حركات: المرجع السابق... ج2، ص ص 305– 308.

[2]– نفسه: ص 309.

[3]- نفسه: ص 311.

و–مع هولندا:

لقي الهولنديون عنتا كبيرا من الاستعمار الاسباني فما أن تم تحررهم من هذا الاستعمار حتى كان المغرب أحد البلدان الأولى التي ارتبطوا معها بعلاقات تجارية وسياسية وكانت اسبانيا عدوا مشتركا للبلدين.

وفي أوائل القرن 17م بدأت هولندا تستورد من المغرب السكر والزيت واللوز والعسل والتين والشمع والجلود، وتصدر إليه الأسلحة والأقمشة، وكان أول قنصل رسمي لهولندا بالمغرب هو " بيتر مارتينز كوي" الذي عينمن عام 1605م – 1609م وكانت مهمته سياسية وتجارية وقد استقر بمراكش وبذل جهودا عظيمة لتوثيق الروابط بين المغرب وبلاده، وقد تعاملت هولندا رسميا مع الدلائيين وجمهورية أبي رقراق واستقبلت عددا من ممثليهم حيث أن الدول الأجنبية كانت ترعى مصالحا الاقتصادية أكثر مما تراعي الاعتبارات الإنسانية.[1]

المحاضرة العاشرة: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بلدان المغرب الحديث.

1–الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر:

كان المجتمع الجزائري في عهد الدولة العثمانية يتكون من الأتراك والجزائريين والكراغلة " من أب تركي وأم جزائرية " أما عدد السكان فهناك اختلاف كبير بين المؤرخين لأن السلطات التركية لم تكن تهتم بعمليات الإحصاء، ولكن معظم المؤرخين يقدرون عددهم ب3 ملايين نسمة في الفترة الأخيرة للحكم العثماني، أي بعد ان تعرضت البلاد لكثير من الأوبئة والكوارث الطبيعية مثل المجاعات والجراد.

وقد اتسمت الأوضاع الاجتماعية في أكثر الأحيان بالفوضى والاضطرابات وتوترات الانكشارية، كما كانت تتأثر بالأوبئة والأمراض والكوارث وكانت الحياة الريفية أشد قساوة، إذ كثيرا ما كانت تتعرض للغارات التركية بسبب رفضها الاستجابة للضرائب المفروضة عليها، وظلت القبائل الجزائرية خلال الحكم العثماني تعيش صراعات دموية نتيجة السياسة التركية التي كانت تستهدف الحيلولة دون

[1]– إبراهيم حركات: المرجع السابق... ج2، ص ص 313-314.

وحدتها لأن ذلك كان يشكل في اعتقاد أكثر الحكام الأتراك خطرا على وجودهم الأمر الذي لم يحقق انصهار المجتمع في بوتقة واحدة مع الأتراك، وظل هذا المجتمع يعيش فرقة موحشة وعداوات قاتلة.[1]

لقد كانت الحالة الاقتصادية للبلاد تتأثر بأوضاعها الداخلية والخارجية فمن الناحية الزراعية والحيوانية امتازت البلاد بغناها في هذا الميدان حيث عرفت نشاطا زراعيا ملحوظا خاصة في نهاية القرن 18م إذ أصبح الإنتاج الزراعي يفوق الاستهلاك المحلي، حيث كانت تصدر كميات كبيرة من الحبوب إلى الخارج كما كانت البلاد تتوفر على ثروة حيوانية كبيرة جدا بدليل ما كانت تصدره سنويا كميات هائلة من الجلود إلى الخارج، وقد احتكر اليهود تجارة الحبوب حيث أنهم تواجدوا بعدد 2000 يهودي.[2]

وقد كانت ملكيات الأراضي على ثلاثة أنواع:

ملكية مشاعة: وهي أراضي العرش التي يستغلها كافة أفراد القبيلة حسب طاقته.

ملكية خاصة: وهي قليلة ولا تكون موجودة إلا في ضواحي المدن وهي شبه اقطاعية.

الأحباس وأملاك الدولة: وتشرف على تسييرها المصالح الإدارية بمساعدة قبائل المخزن.

وقد انتشرت صناعات تقليدية كالنسيج والبرانس والزرابي والحياك وغيرها فقد عرفت هي الأخرى تطورا كبيرا لكنها لم تواكب التحولات التي تجري في أوربا خاصة بعد ظهور الثورة الصناعية التي كانت سببا في التوفق التكنولوجي والتطور العلمي.

أما التجارة الداخلية فاتسمت بطابع الاحتكار من طرف الطائفة اليهودية وكانت القوافل التجارية تتخذ الساحل مركزا لها، وعلى الرغم من توفر المنتجات الزراعية: كالحبوب، الشموع، الأصواف، الزيوت... إن الأرباح الضخمة التي كانت تدرها تذهب معظمها إلى اليهود وكبار موظفي الدولة والضبط الأتراك الذين لم يكن همهم مصلحة البلاد بتطوير وسائل الإنتاج أو تجديدها، بقدر ما كان شغلهم تكديس الثروات.[3]

---

[1]- محمد العربي الزبيري: التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الجزائر، 1972، ص 112.

[2]- محمود علي عامر: تاريخ المغرب العربي الحديث " الجزائر، تونس"، ط2، منشورات جامعة دمشق، 2000، ص 106.

[3]- محمود علي عامر: تاريخ المغرب العربي الحديث " الجزائر، تونس"... المرجع السابق، ص ص 106-107.

ومن الأسباب التي أدت إلى تدهور التجارة الداخلية وانعدام الاتصالات التجارية بين المغرب والعرب من جهة وافريقيا السوداء من جهة أخرى هي أن النظام التركي الحاكم عمل على تعزيز المركزية، فباتت عدة أسواق داخلية بعيدة عن العاصمة والأسواق التي احتفظت بأهميتها ظلت تتاجر مع البلدان المجاورة مثل قسنطينة مع تونس، وتلمسان مع المغرب الأقصى، وقد كانت تجارة الشرق الجزائري مع تونس والسودان تساهم بقسط وفير في تنشيط التجارة الداخلية على الرغم من أن جل المواد لمتداولة في عمليات البيع والشراء تعتبر من الكماليات بالنسبة لأهالي قسنطينة.[1]

وبالنسبة للتجارة الخارجية فكانت الجزائر تصدر الحبوب، الزيوت، التمور، الأقمشة الصوفية والحريرية، والمرجان، البارود، وريش النعام وغيرها، ولم تكن السلطات العثمانية تهتم بالتجارة الخارجية نتيجة الأوضاع الداخلية التي تسربت إليها الفوضى والاضطرابات إضافة إلى دور اليهود الذين أضعفوا التجارة الداخلية والخارجية بسبب نفوذهم لدى الدايات والبايات مقابل منافع واتاوات.

ومن مواد الجزائر خلال الحكم العثماني نجد:" الزكاة على الحبوب والماشية، الحكر وهو كراء أراضي المخزن، الغرامة او اللزمة المفروضة على بعض الأماكن الثرية، حقوق الديوانة والمكوس، خمس الغنائم، الجزية التي فرضت على الدول الأوربية، استخلاص الضرائب من القبائل عن طريق خروج المحلة، العشور، عوائد أخرى كالهدايا التي تقدم في المناسبات، الدنوش وهو حصة نقدية يقدمها البايات إلى الخزينة العامة كل ثلاث سنوات".[2]

2-الحياة الاجتماعية والاقتصادية بليبيا:

عرفت ليبيا أوضاعا اجتماعية واقتصادية مزية من جدب للزرع مما أدى إلى انتشار حالات الجوع والفقر سواء في المدن الداخلية وهذا خلال فترة حكم الأسرة القرمانلية، إضافة إلى انتشار واندلاع العديد من الثورات والتمردات سواء في المدن الساحلية والداخلية التي عرفتها البلاد الليبية " سواء في طرابلس، تاجوراء ترهونة، الجبل الأخضر، فزان " وكانت بين 1713- 1715م- 1718.[3]

---

[1]- محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 112.

[2]- نفسه: ص ص 92-97.

[3]- شارل فيرو: المصدر السابق، ص ص 275- 282

وفي شهر جوان عام 1733م تفشى الطاعون في طرابلس وفتك بالناس فتكا شديدا سواء في المدينة أو في الدواخل وتضرر منه حتى القناصل الأوربيون منهم الفرنسيون، وقد هلك منهم 13 شخصا ولم تنج سوى السيدة " ريموندیس " زوجة القنصل التي ظلت تدير شؤون القنصلية وواصلت عملها لرعاية مصالح رياس المراكب الفرنسية. [1]

تميزت سنة 1745 بانقطاع الأمطار وتفشي حالة القحط في البلاد وادت ندرة المياه إلى هلاك عدد كبير من الأهالي ودوابهم، ولقد تضرر إقليم بنغازي جراء هذه الكارثة أكثر من غيره من مناطق البلاد، وصار أهله يموتون من شدة الجوع والعطش، الأمر الذي اضطر معه نائب القنصل الفرنسي في بنغازي السيد " بايان" إلى مغادرتها هو وجميع الرعايا الأوربيين

ويقال أن أحمد القرمانلي تأثر كثيرا لابتلاء بلاده بتلك النكبات فقرر نفض يده من مشاغل الدنيا متخليا عن مقاليد السلطة لابنه الذي يفضله على كل أبنائه وأوصى بأن يخلفه في الحكم.[2]

كما أدت قلة الأمطار إلى حدوث مجاعة رهيبة في طرابلس الغرب برمتها عام 1767م فهاجر إلى مصر وتونس اكثر من 40 ألف من الأهالي واستمرت حالة الجدب والبؤس في السنة التالية مما أدى إلى تفشي الكوليرا الذي انتشر في الدواخل فافنى الكثير من أهلها واودى في مدينة طرابلس نفسها إلى هلاك أكثر من 500 شخص، وزادت الطين بلة الحرب الضروس التي نشبت بين قبيلتي سليمان والفرجان.[3]

وقد تعرضت طرابلس مرة أخرى إلى المجاعة والقحط خلال فترة طويلة، اما في شهر ما عام 1785م فقد كانت هناك كارثة أخرى فتكت بالسكان والتي تمثلت بوباء الطاعون الذي تفشى في المناطق الداخلية ولم تقم سلطات مدينة طرابلس باتخاذ أية احتياطات صحية لدرء أخطار ذلك الوباء وقدر عدد ضحايا الطاعون في مدينة طرابلس وضاحية المنشية ب27 ألف.[4]

---

[1]- شارل فيرو: المصدر السابق، ص 298.

[2]- نفسه: ص 302.

[3]- شارل فيرو: المصدر السابق، ص 324.

[4]- نفسه: ص ص 336- 338.

قبل فترة قريبة من قيام الاضطرابات التي أغلقت طرق الدواخل كانت للتجارة بطرابلس الغرب أهمية معينة في مجال التبادل مع افريقيا الوسطى، وقد ترك قنصل السويد بطرابلس " جرابرج همسو " صورة ممتازة عن الوضع التجاري والاقتصادي نشرها في سلسلة من المقالات وهي التالي:[1]

كانت مركز تجميع التجارة مع دواخل افريقيا وكانت تتجمع بها منتوجات الواداي وبورنو وكاشينا، وسكاتو والهوسة، وتومبوكتو، والمنتوجات الواردة من طرابلس وبنغازي ومصر وأوجلة.

وهناك أربع طرق تنفذ إلى دواخل افريقيا عن طريق غدامس: " وهي طريق مزدة، سوكنة، مرزق، غات، كاشينا، توات تومبوكتو".

ويصل إلى طرابلس ضمن القوافل من فزان وغدامس:

1-العبيد السود ويبلغ عددهم حوالي 2500 سنويا، ويصدرون إلى تونس ومصر والمشرق.

2-التبر بما يقرب من عشرة آلاف مثقال أي ما يقرب من ألف وخمسمائة أنش دون ان ندخل في الحسبان الضريبة الذهبية التي تجبى من فزان وغدامس.[2]

3- طرونة بحوالي 7 آلاف قنطار فيالعام.

4- السنامكي حوالي 3000 قنطار

5- ريش النعام بما قيمته من 15 ألف إلى 18 ألف في السنة

6- البوتاس الأحمر من 3 إلى 4 آلاف قنطار

7- عاج من 15 إلى 20 ألف قنطار في السنة.

وتستبدل هذه البضائع في طرابلس بنحاس المشرق الذي يستعمل في بورنو لسك النقود والخناجر وغيرها من الأسلحة البيضاء والخرز والأقمشة وكانت طرابلس تستفيد أيضا من حركة نقل الحجاج وقل ذلك الوقت مرور الحجيج وانخفض عما كان عليه في الماضي، بسبب تفضيل الحجاج السفر عن طريق

[1]- أتوري روسي: المصدر السابق، ص 413.

[2]- أتوري روسي: المصدر السابق، ص ص 413- 414

البحر، فوق المراكب المسيحية، وفي سنة 1824م شاهد " جرابرج" قافلة تتكون من 3 آلاف رجل و100 من النساء والأطفال وألفي جمل قادمة من فاس ثم أخذت تتضاعف وتنمو أثناء الطريق وكان يتولاها " أمير الحج " وهو من القيروان، وتوقفت هذه القافلة بطرابلس مدة تقرب من الشهر ثم تابعت رحيلها فسافر قسم منها عن طريق البحر واستمر القسم الآخر في السفر برا.[1]

وحتى ذلك العهد كانت تعقد سوق عند باب المدينة نحو الشرق تعرف بسوق عند باب المدينة نحو الشرق تعرف بسوق الثلاثاء في الموقع المعروف باسم " الساحة" أما في تاجوراء فتعقد السوق يومي الاثنين والخميس.

كان لطرابلس عدة علاقات مع العديد من دول أوربا ومن المنتوجات الأوربية التي كانت تدخل إلى طرابلس الغرب نجد " ورق الكتابة " نوعها ثلاثة الذي يصنع في جنوا وليفورنو" والمرجان والعقيق والأقمشة القطنية، الحرير، الدمشقة، البسط، والأسلحة النارية، الأسلحة القاطعة والأكواب...".

وهناك العديد من التجار الذين تواجدوا بطرابلس الغرب نجد منهم يهود توسكانا " سلمون أميرون"، ومن المالطيين المسيحيين من رعايا إنجلترا يذكر الإخوة فانيجيا، وسلفاتوري فرندو، وكريلا قريش، وبتروباودي، ومن رعايا صقلية روزاريو مسينا، ومن رعايا توسكانا بلقرينو كستلاني، ومن الفرنسيين بوسيير ولوتير وجوردان.

وفي عام 1824 وصلت من مالطا 27 سفينة ومن ليفورنو 19 سفينة ومن بنغازي 11 سفينة، ومن الإسكندرية 5 سفن ومن تريستا 5 سفن، و4 سفن تونس و4 من جربة، وكان مجموعها 94 سفينة، وغادرت الميناء من نفس العام 101 سفينة وصلت منها 24 وسافرت 25 من السفن التي تحمل أعلام الدول التالية إنجلترا، فرنسا، النمسا، توسكانا، طرابلس، سردينيا.[2]

[1]- أتوري روسي: المصدر السابق، ص 414.

[2]- نفسه: ص 415

3-الحياة الاجتماعية والاقتصادية بتونس:

أقامت تونس علاقات مع العديد من الدول الإسلامية سواء في افريقيا أو المشرق العربي فقد كانت الصناعات التقليدية التونسية متجهة منذ القرن 16م على الأقل بصفة خاصة نحو الأقطار التابعة للسلطنة العثمانية والبلاد التركية نفسها وهذه الأقطار أغلبها إسلامية تنتمي إلى نفس الحضارة ولها نفس العادات وطرق العيش والأذواق التي لا تختلف من بلد إلى آخر كما كانت لساكنيها نفس الحاجيات في غالب الأحيان، كما أن نفس الأقطار المسيحية الخاضعة للسلطنة العثمانية مثل بلاد اليونان أو بلغاريا والتي بقيت محافظة شديد المحافظة على تقاليدها، وقد تاثرت طرق عيش سكانها وأنواع ملابسهم بالأساليب الإسلامية، حتى أن سكان المدن من اليونان كانوا يشبهون في لباسهم إلى حد بعيد الأتراك حتى النصف الثاني من القرن 19م.[1]

كما ان حاجياتهم من حيث اللباس كانت شبيهة بحاجيات العثمانيين اما المصريون والسوريون والجزائريون فإن تقاليدهم الإسلامية القوية قد أضفت على حياتهم اليومية وعلى أزيائهم طابعا متقاربا للغاية.

ونظرا لما تمتاز به المصنوعات التونسية من جودة وأسعار مناسبة فقد كانت مقدرة حتى قدرها في أسواق الشرق " مصر، سوريا، تركيا" وشمال افريقيا " المغرب، الجزائر، ليبيا" وبلاد البلقان " اليونان والبانيا" وأوربا الغربية " فرنسا، إيطاليا، وغيرها".

تعتبر الشاشية التونسية من أكثر المصنوعات التونسية رواجا وكانت تباع حتى أوائل القرن 19م بدون منافسة تذكر في كافة أسواق السلطنة العثمانية ففي عام 1837م تم تصدير ما قيمته 1.742.000 ريال من الشواشي الموجهة نحو " مصر، طرابلس، الجزائر، بلاد البلقان" كما كانت تصدر كميات هامة من الأقمشة الحريرية والقطنية والأغطية والصوف والأثاث الخشبي والمصوغ...[2]

---

[1]- أحمد القصاب، حمادي الساحلي: تاريخ تونس المعاصر " 1881- 1956"، ط1، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ص ص 192-193.

[2]- نفسه: ص 193.

إلا أنه منذ أوائل القرن 19م تدهور بيع المصنوعات التونسية من أثر المزاحمة الأوربية على أسواق البلاد التونسية التقليدية، كما غمرت البضائع العثمانية المعامل الفرنسية والانجليزية، كما بدأ حجم الصادرات من البضائع المصنوعة بتونس ينقص باستمرار في الأسواق " اليونانية، الجزائرية، المصرية، والمغربية" وبقيت طرابلس وحدها تشتري أنواعا مختلفة من البضائع وبالخصوص الشاشية.

ربطت تونس علاقات مع العديد من الدول ومنها دول أوربا الغربية وبالخصوص " فرنسا، بريطانيا وغيرها فمنذ أواسط القرن 19م بدأت هذه الدول في تحويل كميات كبيرة من المنتوجات المصنعة، وقد مكنتها المعاهدات غير المتساوية المبرمة مع بايات تونس من فرض بضاعتها في السوق التونسية إلا أن الصناعة الأوربية لم تقتصر على ترويج المنتوجات الأوربية الخالصة بل أخذت أيضا في تقليد بعض منتوجات الصناعات التقليدية التونسية.[1]

كما تطورت الصناعة اليدوية وخاصة صناعة الشاشية الشهيرة وكانت تسوق على نطاق واسع إلى المشرق الإسلامي باجمعه وقد ازدهرت تلك الصناعة في النصف الأول من القرن السابع عشر بفضل الأندلسيين أو الموريسك الذين طردوا من اسبانيا سنة 1609م فاستقبلت السلطة التونسية عشرات الآلاف منهم.

وقد كان لهؤلاء الأندلسيين أيضا دورهم في تعمير بعض المناطق واحيائها إذ غرسوها زيتونا أو جعلوا منها أراضي سقوية من ذلك أراضي وادي مجردة السفلى وأسفل الوطن القبلي وسواحل شمال شرق البلاد " من قلعة الأندلس إلى بنزرت".

وقد احتفظت أماكن عديدة أسوسها أو أعادوا ترميمها بطابعها الأندلسي الخاص وقد ساهموا بمساهماتهم في النهوض الاقتصادي في القرن السابع عشر وكانت صناعات النسيج نشطة بالعاصمة وسوسة والقيروان وفي جهات الجريد.[2]

[1]- أحمد القصاب، حمادي الساحلي: المرجع السابق، ص ص 194-196.

[2]- محمد الهادي الشريف: المرجع السابق، ص ص 76 -77.

4-الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالمغرب الأقصى:

ما كادت تمر سنوات قلاقل على وفاة المنصور متى تقاطرت على المغرب واقطار إسلامية أخرى أفواج عظيمة من الموريسكيين وحظيت تطوان والرباط وسلا بعناصر نشيطة وثرية وقد زاول كثير منهم أعمال الجهاد البحري باعتباره الأكثر أهمية ، كما ساهم الموريسكيون بحظ وافر في الإنعاش الاقتصادي لافريقيا الشمالية كما عملوا على تنشيط التجارة مع الدول عن طريق البواخر التي كانت ملكهم الخاص.

أما في مراكش فقد حلت فئات من العلوج من مختلف الاجناس وهم نصارى يدخلون في الإسلام طواعية او عن طريق الاغراء، ليتمكنوا من العمل في خدمة الدولة وكان تأثير الاسبان منهم بالغا وقد ساهموا في غزو السودان وانتشرت اللغة الاسبانية بمراكش إلى درجة أنها ظلت حتى أواخر القرن 11هـ / 17م تنافس العربية في انتشارها.[1]

ويعتبر الأسرى المسيحيون أيضا من العناصر التي تواجدت بالمغرب تحت مراقبة الدولة وكان مقامهم يطول سنوات عديدة في انتظار مفاداتهم عن طريق قناصل بلادهم وقسم كبير منهم يضطر إلى اعتناق الإسلام ليتخلص من الأسر، وقد بلغ عددهم حوالي 3 آلاف في مراكش وحدها في أواسط القرن 16م، ويروي بعض التجار الفرنسيين الذين اقاموا طويلا فيها في أوائل القرن 17م أن هذه المدينة تداني في عظمتها باريس وقدر جان موكي سكانها بحوالي ثلاثمائة إلى أربعمائة ألف وهو أول سائح فرنسي دخل المغرب ورأى أنها أكبر من العاصمة باريس وقد زارها عام 1606م.

وكانت قبيلة الرحمانة وهي من بني معقل تستقر قرب مراكش وتساهم مع الشبانات في تعريبها لأن معظم سكانها من أصل بربري، كما كان يعيش في درعة بين المغاربة عدد من السودانيين المجلوبين والمهاجرين.[2]

ووصف موكي حالة الأسرى بمراكش حيث لاحظ جماعة منهم مقيدين وهم انجليز يقطنون قريبا من الملاح والديوانة حيث يسكن النصارى بما فيهم مبعوثو الدول الاوربية وسفراؤها.

---

[1]- ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ...ج2، المرجع السابق، ص 365.

[2]- نفسه: ص ص 365-366.

وقد أعجب هذا السائح بقنوات المياه كما لفت نظره إلى كثرة الفواكه وجودة اللحم والصيد بالبلد إضافة إلى وصفه لمنازل السكان التي كانت تبنى بالطين وهي غير محكمة البناء، أما بيوت القواد فمن الحجر وهي واسعة الأفنية.

أما فاس فقد زارها رحالة انجليزي اسمه وليام ليتكو عام 1609م الذي أعجب بروعة فنادقها وقدر عدد المساجد بها ب460 كما تكلم عن نسبة سكانها المقدر بمليون.

وقد استقر بتارودانت عدد كبير من اليهود المقدرين من طرف مارمول بنحو ألف، وكان بها أيضا الديوانة أو فندق جمركي يقطن فيه النصارى، وبالنسبة لتطوان فقد استقرت بها عائلات أندلسية كثيرة وكثير منها يحمل أسماء افرنجية تسمى بها عائلات مسيحية اسبانية، وقد توافد على المغرب عناصر سودنية وقليل من الأتراك.[1]

كما عرف المغرب خلال القرنيين 16/ 17م كوارث عديدة حيث تسلط على المدن والقرى مجاعات وأوبئة وكوارث طبيعية في معظم أرجاء المغرب ومات خلق كثير ضمنهم شخصيات مثقفة، فمثلا عام 1579م ارتفعت أثمان المعيشة وحدثت مجاعات عظيمة حتى أكل السكان الحشائش وانتشر زكام وبائي يسميه المغاربة " الكحيحة" وهلك منهم كثيرون، [2]كما تسلط وباء عام 1595م فكان يخرج من الموتى يوميا نحو ألف من فاس وألفين من مراكش.

والواقع أن الوسائل الصحية من وقاية وعلاج كانت معدومة في جل أنحاء البلاد باستثناء فاس ومراكش الذي تواجد بهذه الأخيرة مستشفى كبير بني في عهد السعديين كما بني مستشفى خاص بالأسرى المسيحيين من اجل العلاج والتغذية الصحية.[3]

إن أهم عنصر يميز الحياة الاقتصادية خلال القرن 16م هو رواج التجارة بشكل لم يعرف له المغرب نظير، إلا أنه في أواخر العهد السعدي تأثرت مناطق الجنوب بالثورات المستمرة التي نشبت بها مما أدى إلى ضعف الحركة التجارية فسكان تلك المناطق كان موردهم التمر، وفي درعة وجود أيضا دقيق

[1]- ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ...ج2، المرجع السابق، ص 367.

[2]- محمد العربي الفاسي: مرآة المحاس، ص 160.

[3]- ابراهيم حركات: المرجع السابق، ص ص 366- 369.

الشعير باعتبارها أساسية للغذاء، أما تارودانت ظلت غنية بحكم مركزها الرئيسي في منطقة " سوس، وبقيت تستقبل خيرات النواحي المجاورة من خرفان ودجاج وصوف وزيت وزيتون فضلا عن العنبر وريش النعام الذي كانت تجارته رائجة مع الخارج وكان سكان الجنوب يربونه قطعانا كالماشية.

وعلى العموم لاحظ الأجانب من سواح وتجار وغيرهم رخاء المعيشة بالمغرب سواء تعلق الأمر برؤوس الماشية والدواجن، كما لاحظ مارمول كثرة الفواكه الطرية والجافة وغزارة السمك والزيت والزيتون.[1]

وكانت أهم صناعة ازدهرت بالمغرب في هذا العصر هي السكر التي لها ارتباط بالميدان الفلاحي وكانت أهم مزارعه في " وادي القصوب قرب الصويرة، وادي تانسفت بناحية شيشاوة، في سهل سوس: وادي تامري، ماسة، ناحية تارودانت، ناحية القصابي، في الشمال : طنجة وسبتة، وقدر عدد المصانع بأربعة عشر مصنعا، كما راجت صناعة الزرابي التركية وفي ميدان الصناعات الثقيلة كان جل اعتماد البلاد على الخارج بما في ذلك صناعة السفن الحربية كما استورد المغرب الأسلحة الأجنبية.

وبالنسبة للتجارة فقد سيطر اليهود على التجارة المغربية واحتكروا موارد الجمرك وتجارة السكر والحشيش وملح البارود والتبغ، وكانوا موضع حقد التجار الاوربيين فضلا عن المسلمين المغاربة ولم يكن ينافسهم إلا الانجليز الذين أسسوا بمراكش مركزا لشركتهم " الشركة البربرية او المغربية".

أما صادرات المغرب فقد تمثلت في : السكر، والتمر، النحاس الأحمر، والذهب مسكوكا او مسوغا، والعنبر والشمع والخيل والجلود والمواشي أما واردات المغرب من الخارج منها الأسلحة والرماح، وبعض قطع السفن الرئيسية والقصدير .[2]

[1]- ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ...ج2، المرجع السابق، ص 377.

[2]- نفسه: ص ص 379- 381.

المحاضرة الحادية عشر: العلاقات المغاربية الثقافية

التواصل الثقافي ظل مستمرا بين الأقطار الثلاث الجزائر، تونس و المغرب الأقصى، حيث لعب ركب الحجاج المغاربة دورا كبيرا في ربط هذا التواصل عن طريق الاتصال المباشر الذي كان يتم بين هؤلاء الحجاج و سكان المناطق التي يمر بها ركب الحج خاصة في القرن السابع عشر إلى غاية القرن التاسع عشر الميلادي كما ساهم العلماء و الرحالة في ربط هذا التواصل بما كانوا يقدمون به من تدوين رحلاتهم و خاصة أثناء تنظيمهم لمختلف الحلقات العلمية التي كان يتم فيها الأخذ و العطاء بين مختلف العلماء بغرض الاستفادة و نقل هاته العلوم إلى بلدانهم و تلقينها لتلامذتهم من اجل تكوين جيل متعلم و هذا ناهيك عن ظهور العديد من الطرق الصوفية في الجزائر و تونس و المغرب الأقصى و التي كان لها الأثر البارز في التقريب بين سكان هاته الحواضر و ذلك من خلال ما حملته الطرق الصوفية من مبادئ أخلاقية أثرت في المجتمعات المغاربية، و هذه الأخيرة حظيت بالاهتمام من طرف حكام هذه الأقطار من خلال منحهم امتيازات كإلغاء دفع الضرائب من طرف مشائخ الصوفية و ما إلى ذلك، و عليه يمكن القول أن كل من العلماء و الطرق الصوفية كان لهم ادوار الهامة في تاريخ ولايات المغرب بما في ذلك الجزائر و تونس و المغرب الأقصى.

تعتبر تونس من أهم الحواضر العلمية التي كانت مقصد للعلماء و خاصة العلماء الجزائريين منهم لما تتوفر عليه من خزائن علمية و من أهم العلماء الذين اتجهوا إلى تونس لدينا احمد بن القاسم البوني نشأ هذا الأخير في أسرة ميسورة الحال، فهي تنتمي إلى مجموعة بشرية واسعة فهي ممتدة غربا إلى نواحي قسنطينة، و شرقا إلى نواحي الكاف و باجة، و عليه يمكن القول أن هذا الأخير اخذ العلم من هذه النواحي،[1] خاصة في عنابة و تونس، ثم شد الرحال إلى مصر أين اخذ العلم من طرف الشيخ عبد الباقي الزرقاني المتوفي سنة 1688 م،[2] و في الأخير عاد أحمد بن القاسم إلى مسقط رأسه أين تفرغ للتدريس و التأليف، و من أهم مؤلفاته الدرة الموصونة في علماء وصلحاء بونة، و قيل أن عدد

[1]- أحمد بن القاسم البوني، الدرة الموصونة في علماء و صلحاء بونة، تق و تح سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2007، ص 12.

[2]– عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام ، ط1، ج3، شركة دار الأمة للنشر والتوزيع، 2009، ص 178.

تأليف هذا الأخير بلغت175 عنوانا، معظمها منظومة في قالب " أراجيز" و ما إلى ذلك أي أن مواضيعها تتعلق بالحديث والسنة و القرآن.[1]

كما وجد في مدينة الجزائر عالم كان شديد الحرص على طلب العلم، و هو عبد الرزاق ابن حمادوش سعى هذا الأخير جاهدا من اجل الاتصال بالعلماء و الاستفادة من خبراتهم مقابل حصوله على الإجازة و من أهم العلماء الذين اخذ عنهم العلم نجد محمد بن ميمون الجزائري أما في تونس فقد درس على يد الشيخ محمد زيتونه[2] و في الأخير ما يمكن ملاحظته هو أن ابن حمادوش اكتسب شخصية علمية من خلال التنقل و الترحال من مكان إلى أخر في سبيل اكتساب العلم و المعرفة، و لعل من بين أهم علماء الجزائر[3] الذين قصدوا مدينة تونس نجد أبو راس الناصري و هذا من اجل طلب العلم و كان هو الأخر من بين المهتمين في تحصيل المعارف من كبار العلماء في كل من تونس و المغرب الأقصى، هذا الأخير الذي شهد له معظم العلماء بقوة حافظته إذا انه كان سريع الحفظ وله القدرة على استحضار أهم المسائل و ما يمكن ملاحظته أن علماء الجزائر كان من اشد المشجعين على طلب العلم مهما كانت الصعوبات التي تواجههم لأنه مقصد كل طالب مجتهد[4].

فكان من جملة العلماء الذين قصدوا تونس من اجل التعلم، كما جمعته صلات علمية مع علمائها [5]ليس حصرا على تونس بل في معظم البلدان التي قصد وها كمصر، و نظرا لبراعته في شتى علوم عصره، أجيز إجازات عامة وصف من خلالها بالحافظ، و ممن أجازه :الشيخ المرتضي الزبيدي وآخرون[6] و في الأخير ترك لنا أبو راس الناصري عدة تأليف و التي تجاوزت المائة و خمسين مؤلف في معظم الفنون و العلوم، و من مؤلفاته في علم الحديث نجد مختصر المعلم في شرح المسلم في ثلاثة، ونزهة الفضائل في شرح الشمائل، وفي النحو عمدة الزهاد في إعراب كل شيء وجئت بلا زاد، وعليه

---

[1]- أحمد بن القاسم البوني: المصدر السابق، ص ص 09 – 29.

[2]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ط1،ج2، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1998، ص ص 425-426.

[3]- فاطمة مقدم، الخصائص السردية في رحلة ابن حمادوش الجزائري، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في اللغة العربية و أدابها ضمن مشروع الأدب الرحلي المغاربي، جامعة وهران، 2011، ص 18.

[4]– صلاح مؤيد مطبقاني: الطرق الصوفية و الزوايا في الجزائر تاريخها و نشأتها، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 441.

[5]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...ج2، المرجع السابق، ص ص 378- 379.

[6]– أبوراس الناصري الجزائري: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تح: محمود بوركبة، ط1، ج1، منشورات الشؤون الدينية، 2012، ص ص 20-21.

يمكن القول إن معظم علماء الجزائر الذين اتجهوا إلى تونس برعوا في شتى العلوم و أسهموا بشكل كبير في الحركة العلمية في الجزائر.

لم تكن تونس المدينة الوحيدة التي ارتحل إليها علماء الجزائر، فقد استقطبت الحواضر المغربية هي الأخرى هؤلاء العلماء بما تحتويه من علماء و شيوخ لهم باع في مختلف علوم هذا العصر و من جملة علماء الجزائر كانت وجهتهم المغرب الأقصى لدينا أحمد المقري قاصد مدينة فاس بإيعاز من عمه سعيد المقري و في هذه الأثناء حل احمد المقري في هذا البلد سنة 1600م، اخذ بموجب هذا العلم عن جملة من أعلامها، و في مقدمتهم الشيح القصار الذي تولى الخطابة و الإفتاء في مدينة فاس[1] و هذا بالإضافة إلى احمد بابا التنبكتي الذي تلقى المقري على يديه مختلف اصناف العلوم، و كان هدف المقري من وراء رحلته إلى المغرب الأقصى و على هذه الأساس استقر هذا الخير في فاس سنة1604 م و التي أجازه شيخها أحمد ابن القاضي لما رأى منه ذكاء و كثرة الحفظ و غزارة العلم و نجد أن المقري اشتغل في التأليف، و من أهم مؤلفاته :نفح الطيب بغصن الأندلس الرطيب و عبد الرحمان الاخضري[2] و هذا بالإضافة إلى كتاب أخر عرف ب :روضة الأس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحاضرتين بمراكش و فاس و ألفه حوالي عام 1602- 1603م هدية لأحمد المنصور[3] غير أن احمد المقري اضطر إلى مغادرة المغرب الأقصى سنة 1618 م و هذا نتيجة لتدهور الأوضاع فيه خاصة الصراع بين الأبناء احمد المنصور على الملك متجها إلى الحج، توفي هذا الأخير سنة 1631 م،[4] كما عرفت الجزائر في هاته الفترة رحلة ابن حمادوش عبد الرزاق بن محمد المعروف بابن حمادوش خلال القرن الثاني عشر الهجري- الثامن عشر الميلادي، فهو من مواليد مدينة الجزائر سنة 1695 م امتهنت أسرته الدباغة [5] عرف هذا الأخير بميله إلى العلم، حيث قرأ العديد من الكتب في مختلف الفنون والعلوم، ومن بين العلماء الذين تثقف على أيديهم و أجازوه في المغرب الأقصى محمد بن محمد عبد

---

[1]- أبي العباس أحمد بن محمد المقري: رسائل المقري، تح: أسماء القاسمي الحسني، ط1، دار خليل القاسمي للنشر والتوزيع، 2008، ص 124.

[2]- عبد الوهاب ابن إبراهيم السملالي: **الاعلام بمن حل مراكش و اغمات من الاعلام**، تح عبد الوهاب ابن منصور، ط2، ج2، المطبعة الملكية، الرباط، ص 308.

[3]- محمد خيط: المقري أبو العباس، ص 144.

[4]- عبد الوهاب ابن إبراهيم السملالي: المصدر السابق، ص 309.

[5]- فاطمة مقدم: المرجع السابق، ص 06.

السلام البناني الفاسي وأحمد الورززي التيطواني[1].

وعليه يمكن القول أن ابن حمادوش اشتهر بحبه للعلم، و لهذا نجده كثيرا التنقل و الترحال في عواصم و مدن العالم الإسلامي و العربي كتطوان وفاس ومكناس و استفاد من علمائهم نظرا لما عرف به علماء الجزائر الذين اتجهوا إلى تونس[2] من تبحر في مختلف العلوم اتجهت أنظار علماء تونس إلى القدوم إلى الجزائر للاستفادة من خبرات علمائها، و لهذا حطت أقدام هؤلاء العلماء إلى الحاضرة الجزائرية من اجل المساهمة و لو بجزء في الحياة الثقافية لهذه الأخيرة و من اهم العلماء تونس الذين نزلوا في مدينة الجزائر للاستفادة من منابعها العلمية هو محمد تاج العارفين بن أحمد البكري العثماني، عرف هذا الأخير بشغفه لطلب العلم، حيث تقلد عدة وظائف في تونس كما تلق تاج العارفين تحصيله العلمي على يد عدد هام من علماء الجزائر و في مقدمتهم عيسى الثعالبي الجزائري شهد هذا الأخير عدة وقائع سياسية حدثت بين البلدين تونس او الجزائر و كان هذا الأخير طرفا فعالا في إصلاح ذات البين و من مؤلفاته أعمال النظر البكري في تحرير الصالح النبوي التونسي، و من جملة الشيوخ الذين وفدوا إلى مدينة الجزائر في القرن الثامن عشر الميلادي العالم التونسي احمد بن مصطفى برناز سنة 1726 م و الذي درس على يد عدد من علمائها و في مقدمتهم الشيخ احمد بن ساسي البوني و الشيخ سعيد قدورة و آخرون[3] وفي هذه الأثناء قصد الجزائر عدد من علماء تونس من أمثال حمودة عبد العزيز و إبراهيم الرياحي و عليه ما يمكن ملاحظته أن علماء البلدين تونس و الجزائر كانوا على صلة مع بعضهم البعض فلم تفصل بينهم النزاعات أو الصراعات الناجمة بين بلديهما فروح التواصل ظل قائما بين علماء كلا من الجزائر و تونس و ما إلى ذلك، لم يكن علماء الجزائر هم الوحيدين الذين ارتحلوا الى المغرب الأقصى و تونس من اجل طلب العلم و ما يثبت ذلك هي رحلة ابن زاكور إلى الجزائر في عام 1685 م للاستفادة من علمائها و خاصة الشيخ أبي الحفص عمر بن محمد بن عبد الرحمان المانجلاتي الذي أجازه لختمه جمع الجوامع للسبكي و علما أن ابن زاكور متضلعا في البلاغة و اللغة و العروض و الحديث و التاريخ.

ومن جملة ما تركه ابن زاكور من أثار علمية تأليفه لكتاب نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر و تطوان من فضلاء أكابر الأعيان، و أيضا المغرب المبين عما تضمنه الأنيس المطرب و روضة

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...ج2، المرجع السابق، ص ص 146-147.

[2]- هلايلي حنيفي ، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني،ط1 ، الجزائر ، دار الهدى للنشر والتوزيع 2009، ص 260.

[3]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...ج1، المرجع السابق، ص ص 324-325.

النسرين، و عليه تعتبر رحلة ابن زاكور من أهم المصادر التي غطت فترة من أزهى عصور الدولة العثمانية في الجزائر[1] و هذا ناهيك عن رحلة أبو سالم العياشي عبد الله بن محمد العياشي " 1628- 1663م"، و رحلة المسماة مائدة الموائد و القائمة على زيارة الأولياء الصالحين الأحياء منهم و الأموات، فخرج من سجلماسة قاصدا وادي الساورة في الأراضي الجزائرية لزيارة قبر الشيخ احمد بن موسى في زاويته بمنطقة بني خلف من قرى بني عباس، و بمنطقة تسابسيت بمنطقة توات بالجنوب الغربي الجزائري زار قبر الولي الصالح سيدي محمد بن صالح و ممن قدم أيضا إلى الجزائر محمد الطيب بن عبد القادر الفاسي في الوفد المغربي سنة 1694 م الذي أجازه مصطفى بن رمضان الحنفي الشهير بالعنابي و هذا الأخير الذي اشتهر بالفقه و التأليف، و من تأليفه التي وصلت إلينا أرجوزة في الفقه الحنفي بدأها بقوله:

يقول راجي رحمه الوهاب الحنفي مصطفى العنابي[2]

لم تعرف طرابلس الغرب تطورا ونشاطا فكريا مزدهرا خلال العهد العثمالٍ، إلاّ أنو خلال فترة حكم الأسرة القرمانلية بداية من سنة 1711 ، وعلى الرغم من حالة الركود الثقافي العامة للإيالة الطرابلسية، فقد ظهرت العديد من الشواهد العلمية تمثلت في نمو عدد المدارس والزوايا والمساجد فعرفت البلاد انتاجا علميا طيبا.[3]

وما يمكن ان نتوقف عنده فيما يتعلق بالتواصل الثقافي بين الجزائر وطرابلس هي الزيارة التي قام بها الورثيلاني لطرابس الغرب وقد أدى ثلاث مرات مناسك الحج، فالاولى كانت عام 1159هـ وهو ابن 18 سنة، اما الثانية أداها عندما بلغ الواحدة والأربعين من عمره عام 1166هـ، بينما كانت الثالثة عام 1181هـ وقد استمرت ثلاث سنوات تعرف أثناءها على كل من تونس وطرابلس ومصر.

---

[1]- ابن زاكور الفاسي: رحلة ابن زاكور الفاسي نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء واكابر الأعيان الجزائر، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، 2011، ص ص 23-29.

[2]- أبو القاسم سعدالله، رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي صاحب كتاب السعي المحمود في نظام الجنود، ط2 ، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1990، ص ص 23-26.

[3]- ليلى غويني: التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2011، ص 117.

إن الرحالة الورثيلاني الذي توقف في طرابلس الغرب قدم لنا وصفا لأوضاعها واحوالها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية كما كان معاصرا لمؤرخها ابن غلبون صاحب كتاب " تاريخ طرابلس الغرب" المسمى" التذكار فيمن سلك وما كان بها من الأخبار" [1]

لقد كان التعليم في طرابلس الغرب خلال النصف الثاني من القرن 18م يسير لما ألفه الناس في العهد العثماني الأول حيث كانت المساجد تقوم بدور المدارس فكانت تؤدي اكثر من وظيفة فهي المكان الذي يقصده الناس لأداة صلواتهم وهي المكان الذي يجتمعون فيه لمناقشة أمور دينهم ودنياهم، كما انها المكان الذي يجتمع فيه القضاة لحل المنازعات التي تقوم بين الأهالي، كما هي المكان الذي يقصده طلبة العلم للتعليم والهداية.[2]

كان حكام الأسرة القرمانلية يولون التعليم اهتماما كبيرا فكانوا يشجعون العلماء ويحترمونهم ويستمعون إلى نصحهم في كثير من الأحيان حتى أن المؤرخ الطرابلسي ابن غلبون وهو احد المتخرجين من الأزهر الشريف يحدثنا عن أحمد باشا القرمانلي وحبه للعلم والعلماء قائلا:" ومن مراعاته لجناب العلم الذي حفظ مباني الشريعة جمعه العلماء بين يديه لفصل الخصومة، وتصريحه لهم بالمجلس: أحكموا بحكم الله ولو علي وقبول شفاعتهم فيما شفعوا فيه في غالب الأمر".[3]

شجع حكام الأسرة القرمانلية العلم والعلماء وقد ظهر أثر ذلك من خلال الاقبال على التعليم فأدى ذلك إلى احياء اللغة العربية وازدهارها ازدهارا كبيرا، حتى أصبحت وثائق الدولة يحرر أغلبها باللغة العربية بعد ان كانت التركية هي الغالبة، غير أنه ما يؤخذ على يوسف باشا عدم محاولته إدخال أي تغيير على نظم التعليم، بل لم يحاول مجاراة مصر في نهضتها التعليمية في ذلك الوقت فلم ينشء المدارس الحديثة ولم يرسل البعثات في مختلف فروع العلم مثل ما فعل محمد علي باشا آنذاك.[4]

تطرق الورثيلاني في خضم حديثه عن ايالة طرابلس الغرب العثمانية عن جوانب عدة كنوعية الادارة العثمانية وجوانب الحكم ووضعية المجتمع وطبيعة العمران، بالاضافة إلى حالة الزراعة وتطور

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، الفترة الحديثة والمعاشرة، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص ص 103-104.

[2]- عمر علي ابن إسماعيل: انهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا " 1795- 1835م"، ط1، مكتبة الفرجاني، طرابلس، بيروت، 1966، ص 172.

[3]- ابن غلبون: التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، تعليق الطاهر أحمد الزاوي، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ، ص 206.

[4]- عمر علي ابن إسماعيل: المرجع السابق، ص 173.

التبادل التجاري والمسالك ومحطات القوافل ونقاط الماء، دون أن يهمل الجوانب الثقافية، وعلى الرغم من ظهور عدد من المدارس غير أن البرامج المقدمة لم تعرف تطورا ولم تخرج عن إطارها التقليدي المنحصر في تدريس العوم الشرعية، في حين ان الزوايا احتلت مكاكبيرة في المجتمع الطرابلسي حيث كانت تقوم بتلقين الطلبة العلوم الشرعية، ولم يقتصر دورها على التعليم فقط، بل كانت مكانا لاتقاء العلماء لتبادل الأفكار والآراء، كما تعتبر الزوايا مؤسسة فكرية وملجأ للطرق الصوفية.

وقد لاحظ الورثيلاني وهو ينتقل من مدينة إلى أخرى فقر المواد المدرسية في مراكز التعليم وقلة انشغال حكام طرابلس بالعلم والعلماء قائلا:" اما طرابلس وعمالتها فقد ضاقت على أهلها المعيشة، وما هي إلا بالكد والجد والسعي الكثير، ومع ذلك فلا يستقرون على طائل، فقد انعدم التدريس للعلم في طرابلس، وقل الانشغال بالعلم فلا تجد مجلسا فيه، وكيف يتصور العلم فيها مع أن علمائها أفضل علماء الأوطان... فإن العلم يزيد بالانفاق وينقص بعدمه فلما ضعف أمر البلاد قصر العم فيها، بل كاد أن ينعدم العلم، ومن أراد العلم فليذهب إلى مصر وتونس".

حاول الورثيلاني أن يتدخل لاصلاح أحوال التعليم في طرابلس ما جعله يخاطب حاكمها علي باشا محاولا نصحه ومحذرا اياه من هذا التقصير في حق العم والعلماء قائلا:" ...فلا بد أن تجعل محلا يصل إليك جميع الناس يبثون إليك شكواهم... فلا تشتغل بشوات النفس وتترك الناس على الاهمام... وقلت له أيضا أنك اهملت العلم وأهله وقصرت في حقهم ما استطعت وقد فقد تدريس العلم من مدينة طرابلس بحيث لا ترى مجلسا من العلم...".[1]

كما تطرق الورثيلاني أيضا في رحلته تلك إلى ذكر أضرحة الأولياء الصالحين قائلا:"...فاعلم أن مدينة طرابلس خصها الله بالصالحين ومحبة أهل الخير حتى أنهم لا يصبرون عليهم فإذا شموا رائحة المعرفة في أحد سعوا إليه بالاحسان..."

هذا وأسهب الورثيلاني في ذكر الأعلام سواء من الذين التقوا بهم أو من الصلحاء والأولياء فمن أهم اعلام مدينة طرابلس الغرب الشيخ " عبد الكريم الزواوي الذي استدل الورثيلاني بكلامه ومن الذين اجتمع بهم أيضا الشيخ " عبد العزيز الصكلاني، وعمر السوداني، ومحمد العربي الافرجاني وهما

[1]- الحسين الورثيلاني: نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والاخبار، تحقيق محمد ابن شنب، مطبعة بيار فونتان، الجزائر، 1908، ص 621- 635.

عضوان في المجلس الاستشاري في بلاط الباشا ومحمد بن عثمان والشيخ محمد بن عبد الخالق ومصطفى الخطيب ومحمد بن عزوز، الشيخ عبد الرحمن.

وفي مدينة تاجوراء ذكر الورثيلاني في حجته الأولى لقاءه مع الشيخ محمد العربي ومحمد بن سعيد، أما مدينة زليتن تطرق إلى الحديث عن عائلة محمد بن سالم الزليتي المدرس بالمدرسة في النحو والفقه مع ابنه ابراهيم، كما تحدث عن وجود عدة مدارس للقرآن والعلم. [1]

[1]- ليلى غويني: المرجع السابق، ص 161.

الـــخـــاتـــمـــة

من خلال هذا البحث توصلت إلى مجموعة من النتائج والاستنتاجات:

-ترتبط التطورات التي عرفتها منطقة الشمال الافريقي بشكل وثيق بسقوط غرناطة واضطرار الآلاف من مسلمي الأندلس إلى الهجرة إلى الجزائر وغيرها من بلدان المغرب العربي مما كان سببا في ظهور حركة المقاومة وتوجيه حملات لإنقاذ المضطهدين من أهالي الأندلس الذين كانوا يتعرضون لشتى صنوف الاضطهاد الديني.

- كانت تلك الأسباب الرئيسية التي شجعت البحارة العثمانيين التوجه إلى غرب المتوسط بغية المساهمة في الدفاع عن إخوانهم ويعد الاخوة بربروس من أشهرهم والذين عرفتهم المنطقة المغاربية وكان بروزهم في سواحل شمال افريقيا نقطة تحول في تاريخ المنطقة.

- استهل الاسبان ضعف الدولة الزيانية والحفصية والمرينية وعجزها عن بسط نفوذها في المناطق التي كانت تابعة لهم فقاموا باحتلال وإخضاع جميع المدن الساحلية تقريبا .

- استند الاحتلال الاسباني للسواحل المغاربية إلى جملة من الأسباب الدينية والسياسية والأمنية والاقتصادية فكان طرد المسلمين من الأندلس واحتلال سواحل المنطقة المغاربية أحد اهم أولويات السياسة الخارجية لاسبانيا .

- لم تتمكن حركة المقاومة الشعبية التي كانت تنطلق من المدن الساحلية بتشجيع من العلماء من تحرير السواحل أو تقديم عون جدي للمضطهدين من مسلمي الأندلس فقام العلماء بدعوة الاخوة بربروس إلى الجزائر وتسلميهم لواء المقاومة بعد ان بلغتهم انتصاراتهم الكثيرة على الاسبان في عرض البحر المتوسط .

- جعل العثمانيون من الجزائر ايالة ذات وضعية متميزة وعين خير الدين بربروس بيلرباي عليها وفي الوقت نفسه تم تعيينه قائدا عاما للاسطول العثماني فصارت بذلك الجزائر مركزا للعمليات العسكرية البحرية في غرب المتوسط، وهكذا ارتبطت جميع التطورات السياسية والعسكرية في شمال افريقيا واسبانيا وغرب أوربا بالجزائر.

الـــمـــــلاحـــــق

الملحق 01

خير الدين وعروج رحمهما الله – جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

المرجع:

https://oulama.dz/2017/07/10

الملحق رقم 02

الهجرات الموريسكية الاندلسية إلى إيالة الجزائر بين 1492–1614م

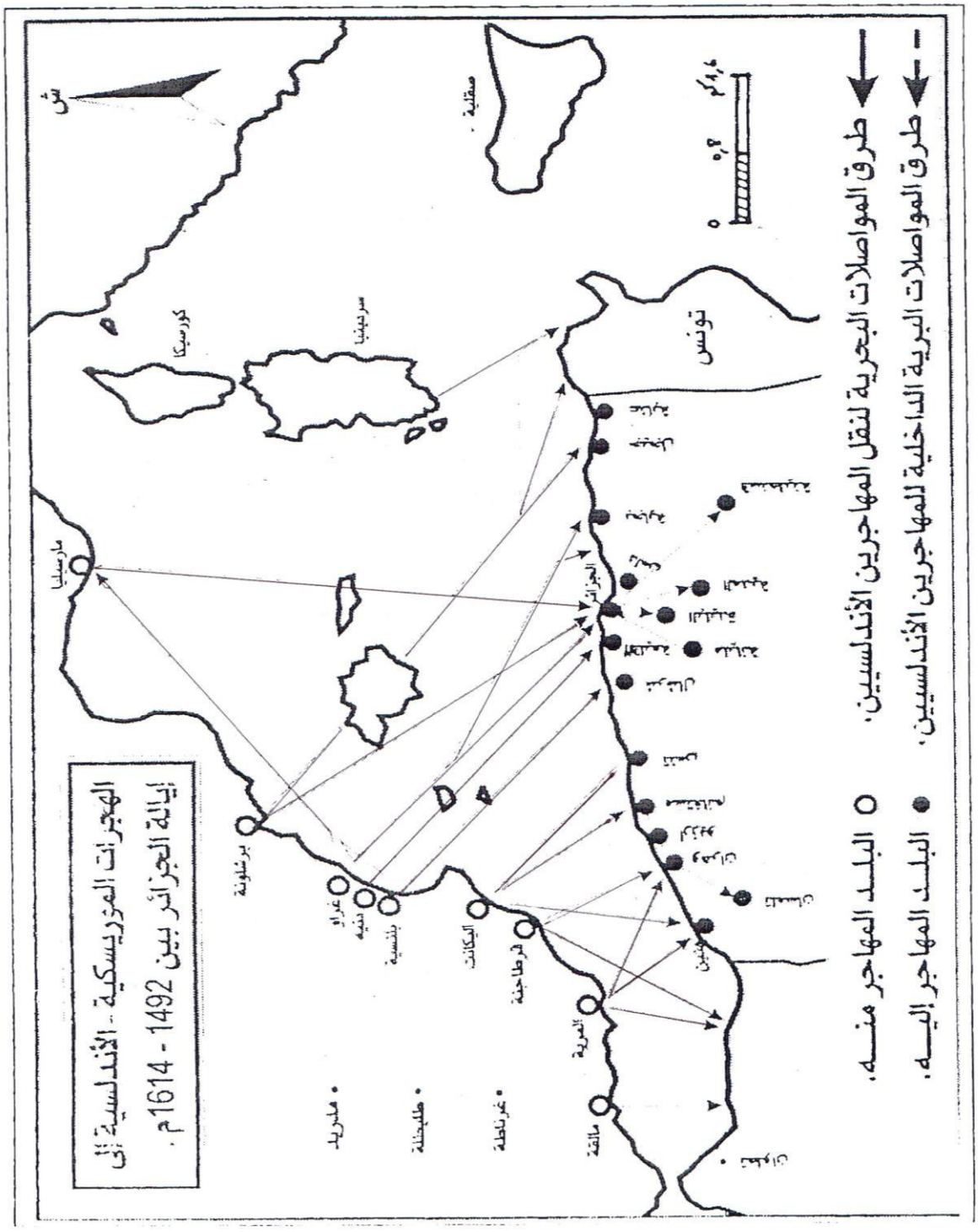

المرجع: حنيفي هلايلي، أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2010، ص 188.

الملحق رقم 03

الرسالة التي أرسلها أهالي الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519

الوثيقة الثانية: الرسالة التي أرسلها أهالي الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519 يعرضون فيها رغبتهم في ضم الجزائر إلى الدولة العثمانية. (أرشيف قصر توب كابي سراي، إستانبول. رقم: 6456).وهذا نصّ ترجمتها :

رسالة القاضي والخطيب والفقهاء والأئمة والتجار والأمناء وكافة سكان مدينة الجزائر العامرة

إننا ندعو بالسعادة والنصر لمقام السلطنة العلية. دعاء يبلغها أقصى الأماني، فإن عبيدها بالجزائر يكتبون إلى مقامها العالي معبرين ومعترفين. وإن رسالتنا هذه لا تستطيع أن تستعرض كل الأسرار. وإن سعادة أيامكم هي قوتنا. ونحن لزمام أموركم وطاعتكم مستبشرين وعليكم لا محالة اعتمادنا. فقد أطعنا أمركم، وعبيدكم ليس لهم غير جنابكم، يرفعون إليه غاية الإجلال والتقدير وليس لهم قصد غير شريف مقامكم العالي.

لقد جرت حوادث جليلة، ولها أخبار طويلة في نصر المؤمنين وهزيمة أعداء الله. ومفادها أن طائفة الطاغية لما استولت على بلاد الأندلس انتقلوا منها إلى قلعة وهران للاعتداء على سائر البلاد. غير أنه بعد استيلائهم على بجاية وطرابلس بقيت الجزائر (بين الكفار) كالنقطة وسط الدائرة. وبقينا كذلك حيارى متأسفين يحفنا الكفار من كل جانب. ولكن تمسكنا بحبل الله المتين، واتكلنا عليه. غير أن طائفة الطاغية شددت علينا الطلب هادفة إدخالنا تحت ذمته. وقد نظرنا في الأمر ورأينا أن المحن والشدائد تشتد وأن الضرورة تقضي بحقن دماء أنفسنا وخفوا على حريمنا وأموالنا وأولادنا من السبي

والتفريق تصالحنا مع أهل التثليث، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وبعد هذه المضايقة والحصار دخل الكفار إلى وهران وبجاية وطرابلس. وكان قصدهم أن يأتوا بسفنهم ويستولون علينا ويأسروننا ويشتتون شملنا فجأة.

آنذاك قدم ناصر الدين وحامي المسلمين المجاهد في سبيل الله أوروج باي مع ثلة من الغزاة. فقابلناه بالعز والإكرام واستقبلناه لأننا كنا في خوف من عدونا فخلصنا بفضل الله. وأرورج باي المشار إليه جاءنا من تونس لإنقاذ بجاية من يد الكفار(واتصل) بالمسلمين. فلما وصل إلى القلعة وحاصرها مع المجاهد الفقيه الصالح أبي العباس أحمد بن القاضي زلزلوا أركانها وهدموا بنيانها وشاهد الكفار عندما دخل المسلمون القلعة، وهاجموهم واستولوا عنوة على برج منها، اختلال بنيانهم وقرب حتفهم.

لقد حارب المسلمون الكفار آناء الليل وأطراف النهار، من طلوع الشمس إلى غروبها. وعلى الرغم من ترك بعض من جماعة أروج القتال بقي المشال إليه يقاتل الكافر مع جماعة قليلة. وكان قد عزم على لقائنا غير أنه وقع شهيدا في حرب تلمسان.

وقد حل مكانه أخوه المجاهد في سبيل الله، أبو التقى خير الدين.وكان له خير خلف، فقد دافع عنا ولم نعرف منه إلا العدل والإنصاف واتباع الشرع النبوي الشريف. على أن محبتنا له خالصة، ونحن معه ثاتبون. كيف لا نحبه وهو المشمر على ساعد الجدّ والإقدام.

ومفاد ما يريد عبيدكم إعلامه لمقامكم العالي هو أن خير الدين

كان قد عزم قصد جنابكم العالي، إلا أن عرفاء البلد المذكورة رفعت أيديها متضرعة إليه حتى لا يرتحل خوفا من الكفار إذ هدفهم هو النيل ونحن على غاية الضعف والبلاء.

لهذا أرسلنا إلى بابكم العالي الفقيه العالم المدرس سي أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد ونحن وأميرنا خدام أعتابكم العالية. وأهالي إقليم بجاية والغرب والشرق في خدمة مقامكم العالي. وأن المذكور حامل المكتوب سوف يعرض لحضرتكم ما يجري في هذه البلاد من حوادث والسلام.

أوائل ذي القعدة 925هـ

المصدر: (مجلة تاريخ المغرب، عدد6، 1976، ص116– 120)

محمد دراج: الدخول العثماني إلى الجزائر... المرجع السابق، ص ص 395– 397.

الملحق الرابع

مدينة الجزائر مطلع القرن 16

مدينة الجزائر مطلع القرن 16 وعلى اليمين **قلعة البنيون التي بناها الإسبان** لمراقبة المدينة قام خير الدين بربروس بتدميرها **وبناء ميناء الجزائر على** أنقاضها

نموذج **لسفينة قادرغة التي أهداها السلطان سليمان** القانوني **لخير الدين بربروس**

مجسم لسفينة **من نوع** قادرغة عليها **رايات** خير الدين بربروس (متحف البحرية **العثمانية بإستانبول)**

قطعة فضية تذكارية صنعت في ألمانيا سنة 1533 وعليها صورة المجاهد خير الدين بربروس

محمد دراج: مذكرات خير الدين بربروس، ط1، شركة الأصالة للنشر، 2010 ، ص ص 222– 223

البيبليوغرافيا

1-المصادر:

أ-باللغة العربية:

01- ابن خلدون عبد الرحمن: العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004،

02-ابن غلبون أبو عبد الله محمد بن خليل غلبون الطرابلسي: التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من اخبار، تح: أيمن البحيري، بيروت، 1998

03-ابن زاكور الفاسي: رحلة ابن زاكور الفاسي نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء واكابر الأعيان الجزائر، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، 2011

04- ابن السراج الأندلسي محمد بن محمد: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تح: محمد الحبيب الهيلة، ج1، بيروت، 1984

05- ايرقينغ واشنطن: أخبار سقوط غرناطة، تر: يحي نصري، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2000

06- ابن أبي ضياف أحمد: اتحاف الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان،ج2، تونس، 1999

07- ابن دينار محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني: المؤنس في اخبار افريقية وتونس، تونس، 1993

08- بروكلمان كارل: تاريخ الشعوب الاسلامية، تر: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 2001.

09- برينا كوستانزيو: طرابلس من 1510- 1850، ترجمة خليفة محمد التليسي، طرابلس، 1969

10- الجزائري الناصري أبوراس: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تح: محمود بوركبة، ط1، ج1، منشورات الشؤون الدينية، 2012

11- خوجة بن عثمان حمدان: المرآة، ترجمة محمد بن عبد الكريم، بيروت، 1972 .

12- الراشدي أحمد بن محمد بن علي بن سحنون: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق الشيخ المهدي البوعبدلي، وزارة التعليم الأصلي للشؤون الدينية، دت.

13- الراشدي أحمد بن عبد الرحمن الشعراني: القول الاوسط في أخبار بعض ما حل بالمغرب الوسط، تحقيق ناصر الدين سعيدوني، تحقيق، بيروت، 1991

14- روسي أتوري: ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911، تر: خليفة محمد التليسي، بيروت، 1974.

15- الرباطي الضعيف محمد بن عبد السلام: تاريخ الضعيف "تاريخ الدولة السعيدة "، تحقيق أحمد العماري، ط1، دار الماثورات، الرباط، 1986.

16- الزياني أبو القاسم: البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف، مخطوط.

17- الزياني أبو القاسم: البستان الظريف في دولة أولاد مولاي علي الشريف، دراسة وتحقيق: رشيدة الزاوية، الطبعة الأولى، وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، 1992.

18- السملالي عبد الوهاب ابن إبراهيم: الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام، تح عبد الوهاب ابن منصور، ط2، ج2، المطبعة الملكية، الرباط، دت.

19- الغبريني أبو العباس: عنوان الدراية في من عرف بين العلماء في المئة السابعة ببجاية، ط1، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

20- فيرو شارل: الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، ترجمة وتحقيق: محمد عبد الكريم الوافي، ط3، منشورات جامعة قار يونس ، 1994.

21-كاربخال مارمول: افريقيا، تر: محمد حجي، محمد زوبير، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، أحمد بنجلون، ج1، مكتب المعارف والنشر والتوزيع، المغرب، 1984.

22- مؤلف مجهول: نبذة العصر في اخبار بني نصر، تعليق: ألفريد البستاني، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.

23- مؤلف مجهول: غزوات عروج وخير الدين، تحقيق نور الدين عبد القادر، الجزائر، 1934.

24- القادري محمد بن الطيب: الدرر السني في بعض من بفاس من أهل النسب الحسني، المطبعة الحجرية، فاس، 1891.

25- القادري محمد بن الطيب: نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تح: محمد حجي واحمد التوفيق: ج1،ج2،ج3،ج4، ط1، مكتبة الطالب، الرباط، 1982.

26- المدغري أحمد بن محمد العلوي: الانوار الحسنية في نسبة من سجلماسة من الأشراف المحمدية، تحقيق: عبد الكريم الفيلالي، الطبعة الأولى، مطبعة فضالة، منشورات وزارة الأنباء، المحمدية، دت.

27- المراكشي عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، نشر لجنة إحياء التراث العربي، الجمهورية العربية المتحدة، 1966.

28- المشرفي محمد: الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية، دراسة وتحقيق: ادريس بوهليلة، ج1، ج2، ط1، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2005.

29- المقري أحمد: نفح الطيب ن غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ج5، تح: محمد البقاعي، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1998.

30- ميكالي رودلفو: طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية ، تر: فوزي طه، دت.

31- ميكاكي رودلفو: طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، تر: فوزي طه، معهد الدراسات العربية العالمية، 1961.

32- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري، ج5-ج6، الدار البيضاء، المغرب، 1955م.

33-نيقولا ايفانوف: الفتح العثماني للأقطار العربية " 1516- 1574"، ترجمة يوسف عطا الله، بيروت، 1988

34- الوزان حسن: وصف افريقيا، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1983.

35- اليفريني محمد الصغير: نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تقديم وتحقيق: عبد اللطيف الشاذلي، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1998.

ب-المراجع باللغة العربية:

01-بلاح بشير: تاريخ الجزائر المعاصر من " 1830-1989" ج1، دار المعرفة، 2006

02- بوحوش عمار: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1997

03-بلقاسم نايت بلقاسم: شخصية الجزائر وهيبتها العالمية قبل 1830، الجزائر، 1985.

04- بن الخوجة محمد: صفحات من تاريخ تونس: تح: حمادي الساحلي، الجيلاني بن الحاج يحي، ط1، دار الغرب الاسلامي.

05- بن إسماعيل عمر علي: انهيار الأسرة القرمانلية في ليبيا 1795- 1830، دت.

06- بن عاشور الفاضل: الحركة الفكرية والأدبية في تونس، القاهرة، 1956م

07- بوعزيز يحي: الموجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسيطة،ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992

08-بوعزيز يحي: علاقات الجزائر الخارجية مع دول ومماليك أوربا " 1500-1830"، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009.

09- التازي عبد الهادي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم " عهد بني مرين والوطاسيين"، م7، 1988.

10-الجمل شوقي: تاريخ كشف افريقيا واستعمارها، القاهرة، 1980.

11- الجيلالي عبد الرحمن: تاريخ الجزائر العام، ج4، بيروت، 1984.

12-جوليان شارل اندري: تاريخ افريقيا الشمالية" تونس، الجزائر، المغرب"، من الفتح الاسلامي إلى 1830، تر: محمد مزالي والبشير سلامة، تونس، 1985.

13- حركات إبراهيم: المغرب عبر التاريخ " من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين"، ج2، نشر وتوزيع دار الرشاد الحديثة، 2000.

14- حقي إحسان: تونس العربية، بيروت، 1970.

15- حومد أسعد: محنة العرب في الأندلس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1988.

16- الخطيب مصطفى عبد الكريم: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، دت.

17- الدجاني أحمد صدقي: ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي، طرابلس، 1971.

18- دراج محمد: الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس " 1512- 1543"، تصدير: ناصر الدين سعيدوني، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

19- ذنون عبد الحكيم: آفاق غرناطة، ط1، دار المعرفة، دمشق، 1988.

20- زاهر رياض: شمال افريقيا في العصر الحديث، القاهرة، 1966.

21- زيادة نقولا: تونس في عهد الحماية " 1881- 1934م"، القاهرة، 1963.

22- السيد محمود: تاريخ العرب في بلاد الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2000.

23- السيد محمود: تاريخ دول المغرب العربي " ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا"، مؤسسة شباب الجامعة،2000.

24- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، 1984.

25- سعدالله أبو القاسم: رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي صاحب كتاب السعي المحمود في نظام الجنود، ط2 ، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1990.

26- سعيدوني ناصر الدين: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، الفترة الحديثة والمعاصرة، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.

27- شبانة محمد كمال: الدويلات الإسلامية في المغرب، ط1، دار العالم العربي، 2008.

28- شريف محد الهادي: تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تعريب: محمد الشاوش، محمد عجينة، ط3، دار سراس للنشر، 1993.

29- شويتام أرزقي: المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني " 1519- 1830م"، ط1، دار الكتاب العربي، 2009.

30- الشيخ رأفت: في تاريخ العرب الحديث، القاهرة، 1989.

31 - صافي حسن: طرابلس الغرب، دت.

32- الطمار محمد بن عمرو: تلمسان عبر العصور، ودورها في سياسة وحضارة الجزائر، 1984

33-عبد الوهاب حسن حسيني: خلاصة تاريخ تونس، ط3، دار الكتب العربية الشرقية، دت.

34- العسلي بسام: خير الدين بربروس والجهاد البحري، بيروت، 1986.

35-العقاد صلاح: المغرب العربي الكبير، القاهرة، 1966.

36- عامر محمود علي ، محمد خير فارس: تاريخ المغرب العربي الحديث، " المغرب الأقصى- ليبيا"، دت.

37- عامر محمود علي: تاريخ المغرب العربي الحديث " الجزائر، تونس"، ط2، منشورات جامعة دمشق، 2000.

38- عمورة عمار: موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002

39- فارس محمد خير: تاريخ الجزائر الحديث، دت.

40- فارس محمد خير فارس: تاريخ المغرب العربي الحديث، دت.

41- فركوس صالح: المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين " 814 ق.م – 1962"، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، 2002.

42- القصاب أحمد، حمادي الساحلي: تاريخ تونس المعاصر " 1881- 1956"، ط1، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، دت.

43- الكعاك عثمان: مراكز الثقافة في المغرب، القاهرة، 1958.

44- كريم عبد الكريم: المغرب في عهد الدولة السعدية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، 1978.

45- المدني أحمد توفيق: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا " 1492- 1792"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت.

46- محرز أمين: الجزائر في عهد الأغوات " 1659- 1671"، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2011.

47- مطبقاني صلاح مؤيد: الطرق الصوفية و الزوايا في الجزائر تاريخها و نشأتها، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2009.

48- الميلي محمد مبارك: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 2004،

49- النائب أحمد: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، دت.

50-هلايلي حنيفي ، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني،ط1 ، الجزائر ، دار الهدى للنشر والتوزيع 2009.

51- هلايلي حنيفي ، أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2010، ص 188.

52- الورثيلاني الحسين: نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والاخبار، تحقيق محمد ابن شنب، مطبعة بيار فونتان، الجزائر، 1908.

53- وولف جون: الجزائر وأوربا " 1500-1830"، تر: أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، دار الرائد، 2009.

54- يحياوي جمال: سقوط غرناطة ومأساة الموريسكيين " 1492- 1610"، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004،

55-يحي جلال: المغرب الكبير، القاهرة، 1966.

2-المقالات والدوريات :

1-ايفانوف نيقولا: القبائل الحرة والمرتحلة في شمال افريقيا في القرن 14، مقال منشور في كتاب تاريخ البلدان العربية، موسكو، 1963.

2-التميمي عبد الجليل: الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين، المجلة التاريخية المغربية، العددان 23-24.

3-الرسائل الجامعية:

1-بن خروف عمار: العلاقات بين الجزائر والمغرب " 1517- 1659م"، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة دمشق، 1985

2-بن يوسف مفيدة: الجالية الأندلسية بالجزائر وتأثيراتها الحضارية على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني القرنين " 16- 17م"، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2010-2011

3-غويني ليلى: التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2011.

4-كلة نصيرة: المغرب الأقصى في عهد الدولة العلوية في كتاب " الاستقصا " للناصري، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، تلمسان، 2019.

4-المراجع بالغة الأجنبية:

1-pari reis : kitabi-bahriyye, istanbul,s

2-Fey, (Henri léon) , Histoire D'Oran avant , pendant et après la domination Espagnole, Adolphe premier editeur , Oran ,1858.

3- Mahmut Amer : Trablusgrap Osmanli Faliyati

4- Sertoglu,Resmli Osmanli Tarihi,Istanbul, 1958. Midhat

5- smail Hakki Uzun : çarsili Osmanli Tarihi, Ankara 1975.

6- Oztuna, Barbaros haralan,Istanbul, 1989.

الـفـهـرس

قائمة المختصرات

مفردات المقياس

مقدمة.....أ–هـ

المحاضرة الأولى: سقوط غرناطة وانعكاساته على الدول المغاربية.....7

المحاضرة الثانية: أوضاع الدول المغاربية في أواخر القرن 15 ومطلع القرن 16.....15

المحاضرة الثالثة: المد العثماني إلى الحوض الغربي للمتوسط.....18

المحاضرة الرابعة: ظروف إلحاق الدول المغاربية (الجزائر، طرابلس، تونس) بالدولة العثمانية .22

المحاضرة الخامسة: تطور نظام الحكم في الجزائر خلال الفترة العثمانية.....31

المحاضرة السادسة: تطور نظام الحكم في المغرب الأقصى في فترة السعديين والعلويين.....44

المحاضرة السابعة: تطور نظام الحكم في تونس.....56

المحاضرة الثامنة: تطور نظام الحكم في طرابلس الغرب " ليبيا ".....63

المحاضرة التاسعة: علاقات الأقطار المغاربية الخارجية " المشرق العربي، إفريقيا، أوربا".....91

المحاضرة العاشرة: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بلدان المغرب الحديث.....103

المحاضرة الحادي عشر: العلاقات المغاربية الثقافية 114

الخاتمة.....122

الملاحق 124

البيبليوغرافيا.....132

فهرس الموضوعات.....142